بَصَائِرُ إِيمَانِيَّةٌ
فِي التَّعَامُلِ مَعَ أَهْلِ المَعْصِيَةِ

فضيلة الشّيخ سيّد عبد العاطي

غفر الله له ورحمه

إلى الهدى ائتنا

منشورات إلى الهدى ائتنا

ربيع الأوّل 1439 - ديسمبر 2017

بَصَائِرُ إِيمَانِيَّة فِي التَّعَامُلِ مَعَ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ

الطّبعة الأولى

ربيع الأوّل 1439- ديسمبر 2017

بَصَائِرُ إِيمَانِيَّة فِي التَّعَامُلِ مَعَ أَهْلِ الْمَعْصِيَة

مُقَدِّمَة

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الأَرْبَابِ، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمِ الأَحْزَابِ، وَمُنَزِّلِ الْكِتَابِ، وَمُسَبِّبِ الأَسْبَابِ، وَخَالِقِ الْبَحْرِ العُبَابِ، بَثَّ فِي الْكَوْنِ آيَاتِ عَظَمَتِهِ لِيَتَدَبَّرَ وَيَتَّعِظَ أُولُوا الأَلْبَابِ، وَعَدَ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ الْمُتَّقِينَ عَظِيمَ الثَّوَابِ، وَتَوَعَّدَ الْمُعْرِضِينَ الْمُعَانِدِينَ بِأَلِيمِ الْعِقَابِ وَأَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا عَلَيْهِ مَا ظَهَرَ لِلأَعْيُنِ وَمَا عَنْهَا غَابَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الآلِ وَالأَصْـــــــحَابِ. أَمَّا بَعْدُ :

فَاعْلَمْ يَاطَالِبَ النَّجَاةِ -وَفَّقَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ إِلَى مَايُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ- أَنَّ آيَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالى تَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ وَهُمَا: **الْقِسْمُ الأَوَّلُ:** آيَاتٌ شَرْعِيَّةٌ مُتَمَثِلَةٌ فِي مَنْهَجِ اللهِ إِلَى خَلْقِهِ عَنْ طَرِيقِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ-عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِم-وَهُوَ

الإِسْلامُ بِمَعْنَاهُ الْعَامّ الَّذِي يَعْنِي عِبَادَةَ اللهِ الْوَاحِدِ الْمُتَّصِفِ بِكُلِّ كَمَالٍ وجَلَالٍ وَجَمَالٍ، وَبِمَعْنَاهُ الْخَاصّ الْمُتَمَثِّل فِي شَرِيعَةِ خَاتَم النَّبِيينَ مُحَمَّدٍ ﷺ الْقُرْآن الْكَرِيم وَالسُّنَّة الْمُطَهَّرَة.

•وَالْمَنْهَجُ الرَّبَّانِيُّ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الآيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ هُوَ"التَّدَبُّرُ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ". (النِّسَاء:82).

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا". (محمَّد:24).

-وقَالَ اللهُ تَعَالَى: "كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ". (ص:29).

الْقِسْمُ الثَّانِي: آيَاتٌ كَوْنِيَّةٌ وَهِيَ مَخْلُوقَاتِ اللهِ الَّتِي بَثَّهَا فِي كَوْنِهِ كَبَرَاهِين سَاطِعَةٍ، وَحُجَجٍ دَامِغَةٍ عَلَي وَحْدَانِيَّةِ اللهِ ﷻ. وَالْمَنْهَجُ الرَّبَّانِيُّ فِي التَّعَامُلِ مَعَهَا هُوَ"التَّفَكُّرُ."

-قَالَ اللهُ تَعَالَى: "وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (189) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ

اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ". (آل عمران:190:191).

*وَإِذَا حَقَّقَ الإِنْسَانُ مَنْهَجَ"التَّدَبُّرِ" للآيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَمَنْهَجَ"التَّفَكُّرِ"للآيَاتِ الْكَوْنِيَّةِ وَصَلَ إِلَي"الإِبْصَارِ، أَيْ: أَصْبَحَ ذَا بَصِيرَةٍ فِي دِينِهِ وَفِطْنَةٍ، وَتَمَكَّنَ مِنْ التَّأَمُّلِ وَالنَّظَرِ الَّذِي يَقُودُهُ إِلَي التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَمَعْرِفَةِ الصَّوَابِ مِنْ الْخَطَإِ، والْخَيْرِ مِنَ الشَّرِّ،والْمَعْرُوفِ مِنَ الْمُنْكَرِ، وَالْهِدَايَةِ مِنَ الْغِوَايَةِ.

-قَالَ اللهُ تَعَالَى: "إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ". (الأعراف:201).

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: "وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ". (الأعراف:203).

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: "ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (18) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (19) هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ". (الجاثية:18:20).

كَانَ هَذَا بِمَثَابَةِ التَّمْهِيدِ بَيْنَ يَدَي هَذِهِ السِّلْسِلَةِ الْمَوْسُومَةِ بِـ"بَصَائِرِ إيمَانِيَّة فِي التَّعَامُلِ مَعَ أَهْلِ الْمَعَصِيَةِ" فِي زَمَنٍ قَلَّ فِيهِ الْعِلْمُ، وَظَهَرَ فِيهِ الْجَهْلُ، وَوَقَعَ الْكَثِيرُون فِي الإفْرَاطِ أوْ التَّفْرِيطِ، وَقَلَّ أَهْلُ الْوَسَطِيَّةِ وَالاعْتِدَالِ، فَتَرَي النَّاسَ فِي تَعَامُلِهِمْ مَعَ الْعُصَاةِ وَالْمُذْنِبِين أخَذُوا طَرَفَيْ نَقِيضٍ بَيْنَ مُقَنِّطٍ مِنَ رحْمَةِ اللهِ وَعَفْوِهِ وَصَفْحِهِ وَمَغْفِرَتِهِ، وَبَيْنَ مُزَيِّنٍ للبَاطِلِ مُجَرِّئٍ للعُصَاةِ عَلَي العِصْيَانِ ، وَكِلا الطَّرِيقَينِ مُخَالِفٌ لمَنْهَجِ أهْلِ الْحَقِّ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْعُصَاةِ وَالْمُذْنِبِين، فَأَهْلُ الْحَقِّ أهْلُ وَسَطِيَّةٍ وَاعْتِدَالٍ.

-قَالَ اللهُ تَعَالَى: "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ

الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ". (البقرة:143).

-والوَسَطِيَّةُ حَسَنَةٌ بَيْنَ سَيِّئَتَيْنِ، بَيْنَ إِفْرَاطٍ وَتَفْرِيطٍ.

وَهَذَا مَا سَوْف نُوَضِّحهُ خِلَالِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ، فَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ بَصَائِر إِيمَانِيَّةٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَآثَارِ السَّلَفِ الصَّالِحِ أَصْحَابِ الطَّرِيقَةِ الْمَرْضِيَّةِ، وَالْآنَ حَانَ وَقْتُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأَقُولُ وَبِاللهِ التَّوْفِيقِ:

❖ الْبَصِيرَةُ الْأُولَى:

-قَالَ اللهُ تَعَالَى: "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (54) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (55) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ(56)أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ

هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (57) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (58) بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (59) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (60) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ." الزُّمَر:53:61

•فَهَذِهِ أُولَي الْبَصَائِرِ الإيمَانِيَّةِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ فَتَدَبَّرْهَا يَاعَبْدَ اللهِ حَتَّي تَصِلَ إِلَي الإبْصَارِ وَمَعْرِفَةِ الْحَقِّ، فَإِنَّ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَي أَنْفُسِهِمْ وَاقْتَرَفُوا الْمَعَاصِي والذُّنُوبَ هُمْ(عِبَادُهُ)وَكَفَي بِهَذِهِ بَصِيرَةٍ لِمَنْ اسْتَبْصَرَ،فَهُمْ عِبَادُهُ مَهْمَا فَعَلُوا وَابْتَعَدُوا، وَمَهْمَا غَلَبَتْهُمْ الْأَهْوَاءُ وَقَادَتْهُمْ،فَهُوَ سُبْحَانَهُ الرَّؤوفُ الرَّحِيمُ بِهِمْ، يَبْسُطُ يَدَهُ بِالَّليْلِ لِيَتُوبَ مُسِئُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِئُ الَّليْلِ،يَفْرَحُ لِتَوْبَةِ عَبْدِهِ أَكْثَر مِنْ فَرْحَةِ الْعَبْدِ نَفْسِهِ فَتَدَبَّرْ يَاعَبْدَ اللهِ، ثُمَّ تَأَمَّلْ سَبَبَ نُزُولِ الْآيَاتِ لِتَسْتَبْصِرَ:

•فَسَبَبُ نُزُولِ هَذِه الآيَاتِ مَاأخْرَجَه الإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رحمهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ كِتَاب تَفْسِير الْقُرْآن سُورَة الزُّمَر بِرَقَم"4532" عَن ابْنِ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- ":أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوا وَزَنَوْا وَأَكْثَرُوا فَأَتَوْا مُحَمَّدًاﷺ فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً فَنَزَلَ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَنَزَلَتْ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ."

•فَالْآيَاتُ تَبْعَثُ الأَمَلَ فِي نُفُوسِ الْعُصَاةِ والْمُذْنِبِين وَتَنْهَى عَنِ الْقُنُوطِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى، وَإِنْ عَظُمَتِ الذُّنُوبُ وَكَثُرَتْ، فَلا يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَقْنَطَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَإِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبُهُ، وَلا أَنْ يُقَنِّطَ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ.

•قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنَّ الْفَقِيهَ كُلّ الْفَقِيهِ الَّذِي لا يُؤْيِّسُ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَلا يُجَرِّيهِمْ عَلَى مَعَاصِي اللهِ.

•وَالْقُنُوطُ يَكُونُ بِأَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ لَهُ، إِمَّا لِكَوْنِهِ إِذَا تَابَ لا يَقْبَلُ اللهُ تَوْبَتَهُ وَيَغْفِرُ ذُنُوبَهُ، وَإِمَّا بِأَنْ يَقُولَ: نَفْسُهُ لا تُطَاوِعُهُ عَلَى التَّوْبَةِ، بَلْ هُوَ مَغْلُوبٌ مَعَهَا، وَالشَّيْطَانُ قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيهِ، فَهُوَ يَيْأسُ مِنْ تَوْبَةِ نَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا تَابَ غَفَرَ اللهُ لَهُ، وَهَذَا يَعْتَرِى كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ. وَالْقُنُوطُ يَحْصُلُ بِهَذَا تَارَّةً، وَبِهَذَا تَارَّةً.

-فَالأوَّل: كَالرَّاهِبِ الَّذِي أَفْتَى قَاتِلَ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ أَنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ لَهُ، فَقَتَلَهُ وَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ دُلَّ عَلَى عَالِمٍ فَأَتَاهُ فَسَأَلَهُ فَأَفْتَاهُ بِأَنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ. وَالْحَدِيثُ فِي الصَّحِيحَيْنِ .

-وَالثَّانِي: كَالَّذِى يَرَى للتَّوْبَةِ شُرُوطًا كَثِيرَةً، وَيُقَالُ لَهُ: لَهَا شُرُوطٌ كَثِيرَةٌ، يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ فِعْلُهَا، فَيَيْأَسُ مِنْ أَنْ يَتُوبَ.

•ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ يُعَذِّبُ نُفُوسًا لَمْ يَغْفِرْ لَهَا، كَالَّتِي كَذَّبَتْ بِآيَاتِهِ وَاسْتَكْبَرَتْ وَكَانَتْ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَمِثْلُ هَذِه الذُّنُوبِ غَفَرَهَا اللهُ لآخَرِينَ لأَنَّهُمْ تَابُوا مِنْهَا.

•إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ تَفْتَحُ بَابَ الرَّجَاءِ أَمَامَ الْمُسْرِفِينَ عَلَي أَنْفُسِهِمْ والرَّجَاءُ رُوحُ الْعِبَادَةِ كَمَا قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّم-رحمهُ اللهُ- فِي مَدَارِجِ السَّالِكِينَ فِي مَنْزِلَةِ الرَّجَاءِ: "وَلَوْلَا رُوحُ الرَّجَاءِ لَعُطِّلَتْ عُبُودِيَّةُ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ. وَهُدِّمَتْ صَوَامِع، وَبَيْعٌ، وَصَلَوَاتٌ، وَمَسَاجِدُيُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا . بَلْ لَوْلَا رُوحُ الرَّجَاءِ لَمَا تَحَرَّكَتِ الْجَوَارِح بِالطَّاعَةِ. وَلَوْلَا رِيحُهُ الطَّيِّبَةُ لَمَا جَرَتْ سُفُنُ الْأَعْمَالِ فِي بَحْرِ الْإِرَادَاتِ . وَلِي مِنْ أَبْيَاتٍ:

لَوْلَا التَّعَلُّقُ بِالرَّجَاءِ تَقَطَّعَتْ نَفْسُ الْمُحِبِّ تَحَسُّرًا وَتَمَزُّقَا
وَكَذَاكَ لَوْلَا بَرْدُهُ بِحَرَارَةِ الْ أَكْبَادِ ذَابَتْ بِالْحِجَابِ تَحَرُّقَا
أَيَكُونُ قَطُّ حَلِيفُ حُبٍّ لَا يُرَى بِرَجَائِهِ لِحَبِيبِهِ مُتَعَلِّقًا ؟!

أَمْ كُلَّمَا قَوِيَتْ مَحَبَّتُهُ لَهُ قَوِيَ الرَّجَاءُ فَزَادَ فِيهِ تَشَوُّقَا
لَوْلَا الرَّجَا يَحْدُو الْمَطِيَّ لَمَا سَرَتْ بِحُمُولِهَا لِدِيَارِهِمْ تَرْجُو اللِّقَا

وَعَلَى حَسَبِ الْمَحَبَّةِ وَقُوَّتِهَا يَكُونُ الرَّجَاءُ. فَكُلُّ مُحِبٍّ رَاجٍ خَائِفٌ بِالضَّرُورَةِ فَهُوَ أَرْجَى مَا يَكُونُ لِحَبِيبِهِ، أَحَبُّ مَا يَكُونُ إِلَيْهِ. وَكَذَلِكَ خَوْفُهُ. فَإِنَّهُ يَخَافُ سُقُوطَهُ مِنْ عَيْنَيْهِ. وَطَرْدَ مَحْبُوبِهِ لَهُ وَإِبْعَادَهُ. وَاحْتِجَابَهُ عَنْهُ. فَخَوْفُهُ أَشَدُّ خَوْفٍ.

وَرَجَاؤُهُ ذَاتِيٌّ لِلْمَحَبَّةِ . فَإِنَّهُ يَرْجُوهُ قَبْلَ لِقَائِهِ وَالْوُصُولِ إِلَيْهِ . فَإِذَا لَقِيَهُ وَوَصَلَ إِلَيْهِ اشْتَدَّ الرَّجَاءُ لَهُ ، لِمَا يَحْصُلُ لَهُ بِهِ مِنْ حَيَاةِ رُوحِهِ ، وَنَعِيمِ قَلْبِهِ مِنْ أَلْطَافِ مَحْبُوبِهِ ، وَبِرِّهِ وَإِقْبَالِهِ عَلَيْهِ ، وَنَظَرِهِ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الرِّضَا ، وَتَأْهِيلِهِ فِي مَحَبَّتِهِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا حَيَاةَ لِلْمُحِبِّ ، وَلَا نَعِيمَ وَلَا فَوْزَ إِلَّا بِوُصُولِهِ إِلَيْهِ مِنْ مَحْبُوبِهِ . فَرَجَاؤُهُ أَعْظَمُ رَجَاءٍ ، وَأَجَلُّهُ وَأَتَمُّهُ.

فَتَأَمَّلْ هَذَا الْمَوْضِعَ حَقَّ التَّأَمُّلِ يُطْلِعْكَ عَلَى أَسْرَارٍ عَظِيمَةٍ مِنْ أَسْرَارِ الْعُبُودِيَّةِ وَالْمَحَبَّةِ . فَكُلُّ مَحَبَّةٍ فَهِيَ مَصْحُوبَةٌ بِالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ. وَعَلَى قَدْرِ تَمَكُّنِهَا مِنْ قَلْبِ الْمُحِبِّ يَشْتَدُّ خَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ، لَكِنَّ خَوْفَ الْمُحِبِّ لَا يَصْحَبُهُ وَحْشَةٌ . بِخِلَافِ خَوْفِ الْمُسِيءِ، وَرَجَاءِ الْمُحِبِّ لَا يَصْحَبُهُ عِلَّةٌ ، بِخِلَافِ رَجَاءِ الْأَجِيرِ. وَأَيْنَ رَجَاءُ الْمُحِبِّ مِنْ رَجَاءِ الْأَجِيرِ؟ ! وَبَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ حَالَيْهِم. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عَدَّهَا أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كُلٌّ مِنْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ ﷺ ،فَمِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ:

1- بَيَانُ فَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ بِقَبُولِ تَوْبَةِ الْعَبْدِ إِنْ تَابَ مَهْمَا كَانَتْ ذُنُوبُهُ.

2- دَعْوَةُ اللهِ الرَّحِيمِ إِلَى عِبَادِهِ الْمُذْنِبِينَ بِالإِنَابَةِ إِلَيْهِ وَالإِسْلامِ الْخَالِصِ لَهُ.

3- قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ:"إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً" تَعْلِيلٌ لِلنَّهْيِ عَنْ الْيَأسِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ،وَمَادَّةُ الْغَفْرِ تَرْجِعُ إِلَى السِّتْرِ وَهُوَ يَقْتَضِي وُجُودَ الْمَسْتُورِ وَاحْتِيَاجَهُ للسِّتْرِ فَدَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى:"يَغْفِرُ الذُّنُوبَ" عَلَى أَنَّ الذُّنُوبَ ثَابِتَةٌ،أَيْ الْمُؤَاخَذَةُ بِهَا ثَابِتَةٌ وَاللهُ يَغْفِرُهَا أَيْ: يُزِيلُ الْمُؤَاخَذَةَ بِهَا وَهَذِهِ الْمَغْفِرَةُ تَقْتَضِي أَسْبَاباً أُجْمِلَتْ هُنَا وَفُصِّلَتْ فِي دَلائِل أُخْرَى مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى:"وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى". (طه:82).

4- قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ:"إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" تَعْلِيلٌ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:"يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً"أَيْ: لا يُعْجِزُهُ أَنْ يَغْفِرَ جَمِيعَ الذُّنُوبِ مَا بَلَغَ جَمِيعَهَا مِنَ الْكَثْرَةِ لأَنَّهُ شَدِيدُ الْغُفْرَانِ شَدِيدُ الرَّحْمَةِ فَبَطَلَ بِهَذِهِ الآيَةِ قَوْلُ الْمُرْجِئَةِ إِنَّهُ لا يَضُرُّ مَعَ الإِيمَانِ

شَيءٌ. فَيَا مَنْ أَسْرَفْتَ عَلَي نَفْسِكَ أَقْبِلْ سَرِيعاً عَلَي رَبِّكَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْعَفُوِّ الْكَرِيمِ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ.

وَأَنْتَ يَا مَنْ اسْتَقَمْتَ عَلَي أَمْرِ اللهِ كُنْ مُبَشِّراً وَلا تَكُنْ مُنَفِّراً، كَنْ مُيَسِّراً وَلا تَكُنْ مُعَسِّراً فَتَصُدّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، ارْحَمْ أَهْلَ الْعِصْيَانَ فَأَمُرْهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ بِالْعِلْمِ وَالْعَدْلِ وَالرِّفْقِ، وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ مِنْ حُظُوظِ النَّفْسِ فَتُصَاب بِدَاءِ العُجْبِ عِنْدَمَا تَنْظُرْ إِلَي طَاعَتِكَ وَتَقْصِيرِ غَيْرِكَ ، بَل احْمَد اللهَ عَلَي العَافِيَةِ وَسَلْ رَبَّكَ الْعَفْوَ لِأَهْلِ الْبَلاءِ، فَإِنَّ الْعُجْبَ بِالْعَمَلِ يُحْبِطُهُ، وَكنْ مِفْتَاحَ خَيْرٍ مِغْلاقَ شَرٍّ، وَلا تَكُنْ مِفْتَاحَ شَرٍّ مِغْلاقَ خَيْرٍ فَتَهْلَك.

❖ الْبَصِيرَةُ الثَّانِيَةُ:

•قَالَ اللهُ تَعَالَى: "وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ". (الأنعام:54).

•فَتَأَمَّلْ يَاعَبْدَ اللهِ -أَرْشَدَكَ اللهُ إِلَى مَايُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ- فِي هَذِهِ الْبَصِيرَةِ الإِيمَانِيَّةِ وَمَاتَحْمِلُهُ مِنْ كَرَامَاتٍ وَبِشَارَاتٍ لِلعُصَاةِ وَالْمُذْنِبِينَ تَفْتَحُ أَمَامَهُمْ أَبْوَابَ الْأَمَلِ عَلَى مَصَارِيعِهَا لِيَتُوبُوا إِلَى رَبِّهِم الَّذِي وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيءٍ ، وَسَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ، سُبْحَانَهُ يَتَوَدَّدُ إِلَى عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْهُم، وَيَنْزِلُ إِلَى سَمَائِهِ الدُّنْيَا فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنْ كُلِّ لَيْلَةٍ وَيُنَادِي عَلَى عِبَادِهِ:هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ حَتَّي يَطْلُعَ الْفَجْرُ، فَهَلا اسْتَبْصَرْتَ يَاعَبْدَ اللهِ ؟.

•فَبَعْدَ أَنْ نَهَى اللهُ ﷻ رَسُولَهُ الْكَرِيمَ ﷺ عَنْ طَرْدِ الْمُؤمِنِينَ الْقَانِتِينَ اسْتِجَابَةً لِطَلَبِ بَعْضِ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ وَسَادَتِهَا فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ لِهَذِهِ الْآيَةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ". (الأنعام:52).

•فَسَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة وَمَثِيلَاتُهَا مَاأَخْرَجَهُ الإِمَامُ مُسْلِمٌ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي صَحِيحِهِ-كِتَاب فَضَائِل الصَّحَابَة بَاب فِي فَضْل

سَعْدبن أبي وَقَّاصٍ ﷺ بِرَقَم "2413"عَنْ سَعْدٍ-ﷺ قَال: كُنَّا مَعَ النَّبِي ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيﷺ اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ وَبِلَالٌ وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهﷺمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:" وَلَا تَطْرُدْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ."

•**وَالسُّؤَالُ:** لِمَاذَا حَدَّثَ النَّبِيُّﷺ نَفْسَهُ؟.

•**الْجَوَابُ:** لِأَنَّ هَؤُلاءِ كَانُوا الرُّؤسَاءَ فَإِذَا أَسْلَمَ هَؤُلاءِ النُّاسُ أَسْلَمَ مَنْ وَرَاءَهُم، فَهُمْ تَبَعٌ لَهُمْ، فَرَغِبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي إِسْلامِ النَّاسِ إِذَا جَلَسَ إِلَيْهِ هَؤُلاءِ وَاسْتَمَعُوا لَهُ، فَبَيَّنَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لَهُ أَنَّ الأَمْرَ عَلَى خِلافِ ذَلِكَ، وَأَنَّ هَذَا الأَمْرَ الَّذِي طَلَبُوهُ لا يَجُوزُ إِجَابَتُهُمْ فِيهِ بِحَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ، وَلَرُبَّمَا اقْتَرَحُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ يَوْماً وَيَجْعَلَ لِهَؤُلاءِ يَوْماً، الْمُهِمُ أَنْ لا يَجْلِسُوا مَعَهُمْ، وَلَرُبَّمَا اقْتَرَحُوا عَلَيْهِ أَنْ يَجْلِسَ مَعَهُمْ بَعْضَ الْوَقْتِ فَإِذَا قَامُوا عَنْهُ جَلَسَ إِلَى مَنْ شَاءَ مِنْ هَؤلاءِ النَّاسِ فَنَهَاهُ اللهُ-عَزَّ وَجَلَّ-عَنْ إِجَابَتِهِم إِلَي طَلَبِهِمْ.

•نَعَم نَهَى اللهُ ﷻ رَسُولَهُ الْكَرِيمَ ﷺ عَنْ طَرْدِ الْمُؤمِنِينَ الْقَانِتِينَ وَأَمَرَهُ بِمُقَابَلَتِهِمْ بِالْكَرَامَاتِ وَالْبِشَارَاتِ.

•يَقُولُ الْعَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَن بْن نَاصِر السَّعْدِيّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي تَفْسِيرِهَا: "وَلَمَّا نَهَى اللهُ رَسُولَهُ، عَنْ طَرْدِ الْمُؤْمِنِينَ الْقَانِتِينَ، أَمَرَهُ بِمُقَابَلَتِهِمْ بِالإِكْرَامِ وَالإِعْظَامِ، وَالتَّبْجِيلِ وَالاحْتِرَامِ، فَقَالَ: { وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ } أَيْ: وَإِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنُونَ، فَحَيِّهِمْ وَرَحِّبْ بِهِمْ ولَقِّهِمْ مِنْكَ تَحِيَّةً وَسَلاماً،وَبَشِّرْهُمْ بِمَا يُنَشِّطُ عَزَائِمِهِمْ وَهِمَمِهِمْ، مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَسَعَةِ جُودِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَحَثِّهِمْ عَلَى كُلِّ سَبَبٍ وَطَرِيقٍ، يُوَصِّلُ لِذَلِكَ.

وَرَهِّبْهُمْ مِنَ الإِقَامَةِ عَلَى الذُّنُوبِ، وَأْمُرْهُمْ بِالتَّوْبَةِ مِنَ الْمَعَاصِي، لِيَنَالُوا مَغْفِرَةَ رَبِّهِمْ وَجُودَهُ، وَلِهَذَا قَالَ: { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ } أَيْ: فَلا بُدَّ مَعَ تَرْكِ الذُّنُوبِ وَالإِقْلاعِ، وَالنَّدَمِ عَلَيْهَا، مِنْ إِصْلاحِ الْعَمَلِ، وَأَدَاءِ مَا أَوْجَبَ اللهُ، وَإِصْلاحِ مَا فَسَدَ مِنَ الأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ. فَإِذَا وُجِدَ ذَلِكَ كُلُّهُ

{فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } أَيْ: صَبَّ عَلَيْهِمْ مِنْ مَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، بِحَسَبِ مَا قَامُوا بِهِ، مِمَّا أَمَرَهُمْ بِهِ." وَمِنْ فَوَائِدِ الآيَةِ:

•**أَوَّلًا:** تَضَمَّنَتِ الْآيَةُ كَرَامَتَيْنِ:

1- الْكَرَامَةُ الْأُولَى أَنْ يَبْدَأَهُمْ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ ﷺ بِالسَّلامِ حِينَ دُخُولِهِمْ عَلَيْهِ، وَهِيَ مَزِيَّةٌ لَهُمْ، لِأَنَّ شَأْنَ السَّلامِ أنْ يَبْتَدِئَهُ الدَّاخِلُ، ثُمَّ يُحْتَمَلُ أنْ هَذَا حُكْمٌ مُسْتَمِرٌّ مَعَهُمْ كُلَّمَا دَخَلُوا عَلَي رَسُولِ اللهِﷺ وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ لِلْمَرَّةِ الَّتِي يُبَلِّغُهُمْ فِيهَا هَذِهِ الْبِشَارَةَ، فَنَزَلَ هُوَ مَنْزِلَةَ الْقَادِمِ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُ زَفَّ إِلَيْهِمْ هَذِهِ الْبُشْرَي.

2- الْكَرَامَةُ الثَّانِيَةُ هِيَ بِشَارَتُهُمْ بِرِضَي اللهِ عَنْهُمْ بِأَنْ غَفَرَ لَهُمْ مَايَعْمَلُونَ مِنْ سُوءٍ إِذَا تَابُوا مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحُوا، وَهَذَا الْخَبَرُ وَإِنْ كَانَ يَعُمُّ الْمُسْلِمِينَ كُلَّهُمْ فَلَعَلَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا، فَكَانَتِ الْبِشَارَةُ بِهِ فِي وُجُوهِ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ تَكْرُمَةً لَهُمْ لِيَكُونُوا مَيْمُونِيَّ النَّقِيبَة عَلَي بَقِيَّةِ إِخْوَانِهِمْ وَالَّذِينَ يَجِيئُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ.

•**ثَانِيًا:** بَيَانُ سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ- عَزَّ وَجَلَّ-وعَفْوِهِ وَفَضْلِهِ عَلَي عِبَادِهِ وَجَبْرِهِ لِكَسْرِهِمْ، وَإِقَالَتِهِ لِعَثَرَاتِهِمْ، وَمَغْفِرَتِهِ لِذُنُوبِهِمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِ تَائِبِينَ نَادِمِينَ وَأَصْلَحُوا مَا أَفْسَدُوا مِنْ أَعْمَالٍ، وَفِي هَذَا تَوْجِيهٌ للمُسْلِمْ أَنْ يَرْحَمَ أَهْلَ الْمَعْصِيَةِ الَّذِينَ ارْتَكَبُوا المَعْصِيَةَ بِسَبَبِ الْجَهَالَةِ وَمَعْنَاهَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ غَلَبَةُ الشَّهْوَةِ والهَوى فَلَا يُقَنِّطْهُمْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بَلْ يُذَكِّرْهُمْ بِسَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ وَعَفْوِهِ وَيَحُثُّهُمْ عَلَى التَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ وَيُرَهِّبُهُمْ مِنْ شُؤم المَعَاصِي حَتَّى يَسْتَقِيمُوا عَلَى أَمْرِ اللهِ وَلايَكُون عَوْنًا للشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ فَيَتَعَالَى عَلَيْهِمْ وَيَحْتَقِرْهُمْ فَيَصُدُّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ.

•**ثَالِثًا:** مِنْ أَخْلاقِ الدَّاعِيَةِ طَلَاقَةُ الْوَجْهِ وَإِلْقَاءِ التَّحِيَّةِ وَالتَّبَسُّطُ وَالسُّرُورُ بِأَصْحَابِهِ.

•**رَابِعًا:** أنَّ شِعَارَ الْمُسْلِمِ السَّلَامُ، وَمِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى "السَّلام"، وَتَحِيَّتُنَا السَّلامُ فَنَقُولُ: "سَلامٌ عَلَيْكُمْ" أَوْ"السَّلامُ عَلَيْكُمْ"وَهُوَ بِمَعْنَي:دُعَاء بِالسَّلامَةِ مِنْ كُلِّ مَا يَسُوءُ،وَيُفِيدُ تَأْمِينَ الْمُسَلَّمِ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ أَذًى يَنَالُهُ مِنَ الْمُسْلِمِ، فَهُوَ آيَةُ الْمَوَدَّةِ وَالصَّفَاءِ ، وَثَبَتَ فِي التَّنْزِيلِ أَنَّ السَّلَامَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّة

يُحَيِّيهِمْ بِهَا رَبُّهُمْ جَلَّ وَعَلَا ، وَمَلَائِكَتُهُ الْكِرَامُ وَيُحَيِّي بِهَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَهُوَ تَحِيَّةُ الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ دِينُ السِّلْمِ وَالْمُسَالَمَةِ "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً". (البقرة: 208). فَيَا عِبَادَ اللهِ تَأَمَّلُوا هَذِهِ الْبَصِيرَةَ الإيمَانِيَةَ وَاعْمَلُوا بِمُقْتَضَاهَا تُفْلِحُوا.

❖ الْبَصِيرَةُ الثَّالِثَةُ:

•قَالَ اللهُ تَعَالَى حَاكِيًا عَنْ مَضْمُونِ دَعْوَةِ نَبِيِّه نُوح -عَلَيْهِ السَّلامُ-لِقَوْمِهِ: "فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا". (نوح:10:11).

•يَقُولُ الإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي تَفْسِيرِهِ الْمَوْسُومِ بِـ"الْجَامِعِ لأَحْكَامِ الْقُرْآنِ"تَفْسِير سُورَة"نُوح":"فِيهِ ثَلَاثُ مَسَائِلَ: الْأُولَى: قَوْلُهُ تَعَالَى:" فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم"ْ أَيْ: سَلُوهُ الْمَغْفِرَةَ مِنْ ذُنُوبِكُمُ السَّالِفَةِ بِإِخْلَاصِ الْإِيمَانِ. "إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا" وَهَذَا مِنْهُ تَرْغِيبٌ فِي التَّوْبَةِ. وَقَدْ رَوَى حُذَيْفَةُ بْنُ

الْيَمَانِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ": الِاسْتِغْفَارُ مِمْحَاةٌ لِلذُّنُوبِ". وَقَالَ الْفُضَيْلُ : يَقُولُ الْعَبْدُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ; وَتَفْسِيرُهَا أَقِلْنِي.

•الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى:"يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا" أَيْ: يُرْسِلْ مَاءَ السَّمَاءِ; فَفِيهِ إِضْمَارٌ. وَقِيلَ : السَّمَاءُ الْمَطَرُ ; أَيْ يُرْسِلِ الْمَطَرَ. قَالَ الشَّاعِرُ مُعَاوِيَةُ بْنُ مَالِكٍ: إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَابَا وَ " مِدْرَارًا " ذَا غَيْثٍ كَثِيرٍ . وَجُزِمَ " يُرْسِلْ " جَوَابًا لِلْأَمْرِ . وَقَالَ مُقَاتِلٌ : لَمَّا كَذَّبُوا نُوحًا زَمَانًا طَوِيلًا حَبَسَ اللَّهُ عَنْهُمُ الْمَطَرَ ،وَأَعْقَمَ أَرْحَامَ نِسَائِهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ; فَهَلَكَتْ مَوَاشِيهِمْ وَزُرُوعُهُمْ ، فَصَارُوا إِلَى نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَاسْتَغَاثُوا بِهِ . فَقَالَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا أَيْ لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ لِمَنْ أَنَابَ إِلَيْهِ.

ثُمَّ قَالَ تَرْغِيبًا فِي الْإِيمَانِ :"يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا" . قَالَ قَتَادَةُ : عَلِمَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُمْ أَهْلُ حِرْصٍ عَلَى الدُّنْيَا فَقَالَ: هَلُمُّوا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ فَإِنَّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ دَرْكَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

•الثَّالِثَةُ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَالَّتِي فِي " هُودٍ " دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الِاسْتِغْفَارَ يُسْتَنْزَلُ بِهِ الرِّزْقُ وَالْأَمْطَارُ. قَالَ الشَّعْبِيُّ: خَرَجَ عُمَرُ يَسْتَسْقِي فَلَمْ يَزِدْ عَلَى الِاسْتِغْفَارِ حَتَّى رَجَعَ ، فَأُمْطِرُوا فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَاكَ اسْتَسْقَيْتَ ؟ فَقَالَ: لَقَدْ طَلَبْتُ الْمَطَرَ بِمَجَادِيحِ السَّمَاءِ الَّتِي يُسْتَنْزَلُ بِهَا الْمَطَرُ . ثُمَّ قَرَأَ :" اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا" . وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: خَرَجَ النَّاسُ يَسْتَسْقُونَ ، فَقَامَ فِيهِمْ بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا سَمِعْنَاكَ تَقُولُ: مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَقَدْ أَقْرَرْنَا بِالْإِسَاءَةِ ، فَهَلْ تَكُونُ مَغْفِرَتُكَ إِلَّا لِمِثْلِنَا ؟!

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَاسْقِنَا ! فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَرَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ ، فَسُقُوا . وَقَالَ ابْنُ صُبَيْحٍ: شَكَا رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ الْجُدُوبَةَ فَقَالَ لَهُ: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ . وَشَكَا آخَرُ إِلَيْهِ الْفَقْرَ فَقَالَ لَهُ: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ. وَقَالَ لَهُ آخَرُ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي وَلَدًا ; فَقَالَ لَهُ: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ.

وَشَكَا إِلَيْهِ آخَرُ جَفَافَ بُسْتَانِهِ ; فَقَالَ لَهُ: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ . فَقُلْنَا لَهُ فِي ذَلِكَ ؟ فَقَالَ: مَا قُلْتُ مِنْ عِنْدِي شَيْئًا ; إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى

يَقُولُ فِي سُورَةِ " نُوحٍ " : اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا وَقَدْ مَضَى فِي سُورَةِ " آلِ عِمْرَانَ " كَيْفِيَّةُ الِاسْتِغْفَارِ ، وَإِنَّ ذَلِكَ يَكُونُ عَنْ إِخْلَاصٍ وَإِقْلَاعٍ مِنَ الذُّنُوبِ. وَهُوَ الْأَصْلُ فِي الْإِجَابَةِ. "

•وَقَالَ الْعَلَّامَةُ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي تَفْسِيرِهِ الْمَوْسُومِ بِـ"التَّحْرِير وَالتَّنْوِير"فِي تَفْسِيرِهِ لِسُورَةِ"نُوح:" "وَفَصَّلَ دَعْوَتَهُ بِفَاءِ التَّفْرِيعِ فَقَالَ: "فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوارَبَّكُم" فَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الَّذِي قَالَهُ لَهُمْ لَيْلًا وَنَهَارًا وَجِهَارًا وَإِسْرَارًا. وَمَعْنَى اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ: ، آمِنُوا إِيمَانًا يَكُونُ اسْتِغْفَارًا لِذَنْبِكُمْ فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ.

وَعَلَّلَ ذَلِكَ لَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْصُوفٌ بِالْغُفْرَانِ صِفَةً ثَابِتَةً تَعَهَّدَ اللَّهُ بِهَا لِعِبَادِهِ الْمُسْتَغْفِرِينَ ، فَأَفَادَ التَّعْلِيلَ بِحَرْفِ (إِنَّ) وَأَفَادَ ثُبُوتَ الصِّفَةِ لِلَّهِ بِذِكْرِ فِعْلِ (كَانَ) . وَأَفَادَ كَمَالَ غُفْرَانِهِ بِصِيغَةِ الْمُبَالَغَةِ بِقَوْلِهِ غَفَّارًا. وَهَذَا وَعْدٌ بِخَيْرِ الْآخِرَةِ وَرُتِّبَ عَلَيْهِ وَعْدٌ بِخَيْرِ الدُّنْيَا بِطَرِيقِ جَوَابِ الْأَمْرِ ، وَهُوَ يُرْسِلِ

السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ الْآيَةَ. وَكَانُوا أَهْلَ فِلَاحَةٍ فَوَعَدَهُمْ بِنُزُولِ الْمَطَرِ الَّذِي بِهِ السَّلَامَةُ مِنَ الْقَحْطِ وَبِالزِّيَادَةِ فِي الْأَمْوَالِ.

وَالسَّمَاءُ : هُنَا الْمَطَرُ ، وَمِنْ أَسْمَاءِ الْمَطَرِ السَّمَاءُ . وَفِي حَدِيثِ الْمُوَطَّأِ وَالصَّحِيحَيْنِ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ : أَنَّهُ قَالَ : صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ ، الْحَدِيثَ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ: إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَابًا وَالْمِدْرَارُ : الْكَثِيرَةُ الدَّرِّ وَالدُّرُورِ ، وَهُوَ السَّيَلَانُ ، يُقَالُ : دَرَّتِ السَّمَاءُ بِالْمَطَرِ ، وَسَمَاءٌ مِدْرَارٌ. وَمَعْنَى ذَلِكَ : أَنْ يَتْبَعَ بَعْضُ الْأَمْطَارِ بَعْضًا. وَمِدْرَارٌ ، زِنَةُ مُبَالَغَةٍ ، وَهَذَا الْوَزْنُ لَا تَلْحَقُهُ عَلَامَةُ التَّأْنِيثِ إِلَّا نَادِرًا كَمَا فِي قَوْلِ سَهْلِ بْنِ مَالِكٍ الْفَزَارِيِّ: أَصْبَحَ يَهْوَى حُرَّةً مِعْطَارَةَ. فَلِذَلِكَ لَمْ تُلْحَقُ التَّاءُ هُنَا مَعَ أَنَّ اسْمَ السَّمَاءِ مُؤَنَّثٌ وَالْإِرْسَالُ : مُسْتَعَارٌ لِلْإِيصَالِ وَالْإِعْطَاءِ ، وَتَعْدِيَتُهُ بِـ(عَلَيْكُمْ): لِأَنَّهُ إِيصَالٌ مِنْ عُلُوٍّ كَقَوْلِهِ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. وَأَمْوَالٌ: جَمْعُ مَالٍ وَهُوَ يَشْمَلُ كُلَّ مَكْسَبٍ يَبْذُلُهُ الْمَرْءُ فِي اقْتِنَاءِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ.

وَالْمُرَادُ بِالْجَنَّاتِ فِي قَوْلِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ النَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ، لِأَنَّ الْجَنَّاتِ تَحْتَاجُ إِلَى السَّقْيِ. وَإِعَادَةُ فِعْلِ (يَجْعَلْ) بَعْدَ وَاوِ الْعَطْفِ فِي قَوْلِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا لِلتَّوْكِيدِ اهْتِمَامًا بِشَأْنِ الْمَعْطُوفِ ؛ لِأَنَّ الْأَنْهَارَ قِوَامُ الْجَنَّاتِ وَتَسْقِي الْمَزَارِعَ وَالْأَنْعَامَ. وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنْ اللَّهَ يُجَازِي عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ بِطِيبِ الْعَيْشِ قَالَ تَعَالَى: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً" وَقَال: "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ" وَقَالَ: "وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا."

■ أَلا فَاسْتَبْصِر يَاطَالِبَ الْعِلْمِ وَكُنْ شَفِيقًا رَحِيمًا رَفِيقًا بِأَهْلِ الْمَعْصِيَةِ وَمِنْ رَحْمَتِكَ وَشَفَقَتِكَ وَرِفْقِكَ بِهِم أَنْ تُذَكِّرَهُمْ بِالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ، وَتُرَغِّبَهُم فِي ذَلِكَ بِبَيَانِ سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ، وَعَظِيمِ فَضْلِه،وَتُحْيِيَ فِي نُفُوسِهِمْ عِبَادَةَ الرَّجَاءِ، وَتُوَضِّحَ لَهُمْ حَالَ رَسُولِ اللهِﷺ مَعَ التَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ وَهُوَ الَّذِي غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَمِنْ ذَلِكَ:

•مَاأخْرَجَهُ الإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ كِتَاب الدَّعَوَات بَاب اسْتِغْفَارالنَّبِيِّﷺ بِرَقَمِ"5948"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِﷺ يَقُولُ: "وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً."

•وَمَاأخْرَجَهُ الإِمَامُ مُسْلِم-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ كِتَاب الذِّكْروَالدُّعَاء وَالتَّوْبَة وَالاسْتِغْفَارُ بَاب اسْتِحْبَاب الاسْتِغْفَاروَالاسْتِكْثَارمِنْهُ بِرَقَم "2702"عَنْ الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ قَالَ:" إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ."

-قَالَ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي شَرْحِهِ لصَحِحِ مُسْلِم: "قَوْلُه ﷺ:"إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي ، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ". قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ :"الْغَيْنُ" بِالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ، وَالْغَيْمُ بِمَعْنًى ، وَالْمُرَادُ هُنَا مَا يَتَغَشَّى الْقَلْبَ ، قَالَ الْقَاضِي : قِيلَ : الْمُرَادُ الْفَتَرَاتُ وَالْغَفَلَاتُ عَنِ الذِّكْرِ الَّذِي كَانَ شَأْنُهُ الدَّوَامَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا فتَرَ عَنْهُ أَوْ غَفَلَ عَدَّ ذَلِكَ ذَنْبًا ، وَاسْتَغْفَرَ مِنْهُ ، قَالَ : وَقِيلَ هُوَ هَمُّهُ بِسَبَبِ أُمَّتِهِ ، وَمَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ مِنْ أَحْوَالِهَا بَعْدَهُ،

فَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ، وَقِيلَ : سَبَبُهُ اشْتِغَالُهُ بِالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِ أُمَّتِهِ وَأُمُورِهِمْ، وَمُحَارَبَةُ الْعَدُوِّ وَمُدَارَاتُهُ ، وَتَأْلِيفُ الْمُؤَلَّفَةِ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ فَيَشْتَغِلُ بِذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ مَقَامِهِ ، فَيَرَاهُ ذَنْبًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ مِنْ أَعْظَمِ الطَّاعَاتِ، وَأَفْضَلِ الْأَعْمَالِ، فَهِيَ نُزُولٌ عَنْ عَالِي دَرَجَتِهِ ، وَرَفِيعِ مَقَامِهِ مِنْ حُضُورِهِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، وَمُشَاهَدَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ وَفَرَاغِهِ مِمَّا سِوَاهُ، فَيَسْتَغْفِرُ لِذَلِكَ، وَقِيلَ: يُحْتَمَلُ أَنَّ هَذَا الْغَيْنَ هُوَ السَّكِينَةُ الَّتِي تَغْشَى قَلْبَهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: "فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ". وَيَكُونُ اسْتِغْفَارُهُ إِظْهَارًا لِلْعُبُودِيَّةِ وَالِافْتِقَارِ، وَمُلَازَمَةِ الْخُشُوعِ ، وَشُكْرًا لِمَا أَوْلَاهُ ، وَقَدْ قَالَ الْمُحَاسِبِيُّ : خَوْفُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ خَوْفُ إِعْظَامٍ، وَإِنْ كَانُوا آمِنِينَ عَذَابَ اللَّهِ تَعَالَى، وَقِيلَ: يُحْتَمَلُ أَنَّ هَذَا الْغَيْنَ حَالُ خَشْيَةٍ وَإِعْظَامٍ يَغْشَى الْقَلْبَ، وَيَكُونُ اسْتِغْفَارُهُ شُكْرًا ، كَمَا سَبَقَ ، وَقِيلَ : هُوَ شَيْءٌ يَعْتَرِي الْقُلُوبَ الصَّافِيَةَ مِمَّا تَتَحَدَّثُ بِهِ النَّفْسُ فَهَوَشَهَا. وَاَللَّهُ أَعْلَمُ."

•وَمَاأخْرَجَهُ الإِمَامُ مُسْلِم-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ فِي نَفْسِ

البَابِ كِتَاب الذِّكْر وَالدُّعَاء وَالتَّوْبَة وَالاسْتِغْفَارُ بَاب اسْتِحْبَاب الاسْتِغْفَار وَالاسْتِكْثَار مِنْهُ بِرَقَم"2702"عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنَ عُمَر- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :"يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ . وَتُوَضِحَ لَهُم بَعْضَ صِيَغِ الاسْتِغْفَارِ وَالَّتِي تُسْتَجْلَبُ بِهَا رَحَمَاتُ وَعَطَاءَاتُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالَّتِي مِنْهَا:

•مَا أَخْرَجَهُ الإِمَامُ البُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ كِتَاب الدَّعَوَات بَاب أَفْضَل الاسْتِغْفَاربِرَقَمِ"5947"عَن شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنْ النَّبِي ﷺ قَالَ": سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ قَالَ وَمَنْ قَالَهَا مِنْ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ قَالَهَا مِنْ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ."

•وَمَا أَخْرَجَهُ الإِمَامُ البُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-أيضًا فِي صَحِيحِهِ كِتَاب الدَّعَوَات باب فَضْل الدُّعَا فِي الصَّلاة بِرَقَم"5967"عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْه- أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِي ﷺ :" عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي قَال:" قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ."

■وَتُوَضِحْ لَهُمْ أنَّ التَّوْبَةَ وَالاسْتِغْفَار أَمَانٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ تَعَالَى

وَالدَّلِيلُ: قَالَ اللهُ تَعَالَى :"وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ". (الأنفال:33).

•وَذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ-رَحِمَهُ اللهُ- عِندَ تَفْسِيرِ للآيَةِ السَّابِقَةِ أثَرَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-قَالَ:"كَانَ فِيهِمْ أَمَانَانَ: النَّبِيُّ ﷺ وَالِاسْتِغْفَارُ ، فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَبَقِيَ الِاسْتِغْفَارُ".

■فَاسْتَبْصِر يَاطَالِبَ الْعِلْمِ وَكُنْ لأهْلِ الْمَعْصِيَةِ بِمَثَابَةِ الطَّبِيبِ للمَرِيضِ يَصِفُ لَهُ الدَّوَاءَ بِحِكْمَةِ بَعَدَ تَشْخِيصِ

الدَّاءِ بِإِتْقَانٍ، وَاسْتَعْمِل مِنْهَاجَ الأَنْبِيَاءِ فِي دَعْوَتِهِم وَالَّذِي يَقُومُ عَلى التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ، فَتَبْدَأُ بِالتَّرْغِيبِ ثُمَّ التَّرْهِيب بِحِكْمَةٍ وَقَدْ فَهِمَ الْجِنُّ الْمُؤمِن هَذَا المَنْهَجَ وَطَبَّقُوهُ خَيْرَتَطْبِيقٍ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى حَاكِيًا عَنْهُم: "وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (29) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (30) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (31) وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ." (الأحقاف: 29:32).

فَهَلْ تَدَبَّرْتَ وَاسْتَبْصَرْتَ يَاطَالِبَ الْعِلْمِ؟!

❖ الْبَصِيرَةُ الرَّ بِعَةُ:

أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ- فِي جَامِعِهِ- كِتَابُ الدَّعَوَاتِ- بَابُ فَضْلِ التَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ -بِرَقَمِ "3491" عَنْ أَنَسِ بْنُ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، يَقُولُ : " قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ

وَتَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً." الْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ- فِي صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيّ بِرَقَمِ"3540."

■ **غَرِيبُ الْحَدِيثِ:**

"••مَا دَعَوْتَنِي": مَا دُمْتَ تَسْأَلُنِي مَغْفِرَةَ ذُنُوبِكَ.
"•رَجَوْتَنِي": خِفْتَ عُقُوبَتِي، وَرَجَوْتَ مَغْفِرَتِي.
"•عَنَانَ": هُوَ السَّحَابُ، وَقِيلَ: مَا انْتَهَى إِلَيْهِ الْبَصَرُ.
"•بِقُرَابِ الأَرْضِ"وَتُقْرَأُ بِكَسْرِالْقَاف "بِقِرَابِهَا": أَيْ مَا يُقَارِبُ مِلأهَا، أوْ مِلْئِهَا.

■ فَاسْتَبْصِرْ يَاعَبْدَ اللهِ وَتَدَبَّرْ فِي سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، يَفْتَحُ بَابَ الْأَمَلِ وَالتَّوْبَةِ أَمَامَ عِبَادِهِ فَلايُقَنِّطهُم مِنْ رَحْمَتِهِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ يَقْبَلُ

التَّوْبَةَ مِنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ.

•قَالَ اللهُ تَعَالَى: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ". (البقرة:186).

•وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ". (غافر:60).

•وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: "وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ". (الشُّوري:25).

•وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: "أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ". (التَّوْبة:104).

■ فاسْتَبْصِرْ وَتَدَبَّرْ يَاعَبْدَ اللهِ وَانْظُرْ إِلَى كَمَالِ كَرَمِ اللهِ تَعَالَى وَسَعَةِ جُوُدِهِ وَتَمَامِ لُطْفِهِ، بَقَبُولِ التَّوْبَةِ الصَّادِرَةِ مِنْ عِبَادِهِ حِينَ يُقْلِعُونَ عَنْ ذُنُوبِهِم وَيَنْدَمُونَ عَلَيْهَا، وَيَعْزِمُونَ عَلَى أَنْ لا

يُعَاوِدُوهَا، إِذَا قَصَدُوا بِذَلِكَ وَجْهَ رَبِّهِم، فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُهَا بَعْدَ مَا انْعَقَدَتْ فَيَمْحُوا عَنْهُمْ أَسْبَابَ الْهَلاكِ، وَوُقُوعَ الْعُقُوبَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ. فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ ، شَفَقَةً عَلَيْهِمْ ، وَرَحْمَةً بِهِمْ ، بِأَنْ يُكَفِّرَ سَيِّئَاتِهِمْ ، وَلا يُعَاقِبَهُمْ عَلَيْهَا.

••فَإِذَا عَلِمَ الْعَبْدُ، وَآمَنَ بِصِفَاتِ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَالرَّأْفَةِ، وَالتَّوْبِ، وَاللُّطْفِ، وَالْعَفْوِ، وَالْمَغْفِرَةِ، وَالسِّتْرِ، وَإِجَابَةِ الدُّعَاءِ؛ فَإِنَّهُ كُلَّمَا وَقَعَ فِي ذَنْبٍ؛ دَعَا اللهَ أَنْ يَرْحَمَهُ وَيَغْفِرَ لَهُ وَيَتُوبَ عَلَيْهِ، وَطَمَعَ فِيمَا عِنْدَ اللهِ مِنْ سِتْرٍ وَلُطْفٍ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَكْسَبَهُ هَذَا رَجْعَةً وَأَوْبَةً إِلَى اللهِ كُلَّمَا أَذْنَبَ، وَلا يَجِدُ الْيَأْسُ إِلَى قَلْبِهِ سَبِيلًا، كَيْفَ يَيْأَسُ مَنْ يُؤْمِنُ بِصِفَاتِ الصَّبْرِ، وَالْحِلْمِ؟! كَيْفَ يَيْأَسُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللهَ يَتَّصِفُ بِصِفَةِ الْكَرَمِ، وَالْجُودِ، وَالْعَطَاءِ.

•وَهَذَا مَعْنَي الاطْمِئْنَانِ الْوَارِدِ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: "الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ". (الرَّعد:28).

■مِنْ فَوَائِدِ الْحَدِيثِ: أَوَّلًا: فَضْلُ وَشَرَفُ بَنِي آدَمَ:
- الْحَدِيثُ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَي فَضْلِ وَشَرَفِ بَنِي آدَمَ حَيْثُ وَجَّهَ اللهُ إِلَيْهِ الخِطَابَ بِقَوْلِهِ "يَا ابْنَ آدَمَ" وَلاشَكَّ أَنَّ بَنِي آدَمَ فُضِّلُوا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَهُمُ اللهُ عَزّ وَجَلَّ وَكَرَّمَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :"وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً". (الاسراء: 70).
-مَعَ التَّنْبِيه عَلَي أَنَّ: كَلِمَةَ "ابن" أَوْ: "بني" أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ إِذَا أُضِيفَتْ إِلَى الْقَبِيلَةِ أَوْ إِلَى الأُمَّةِ تَشْمَلُ الذُّكُورَ وَالإِنَاثَ، وَإِذَا أُضِيفَتْ إِلَى شَيءٍ مَحْصُورٍ فَهِيَ للذُّكُورِ فَقَط. وَهِيَ هُنَا فِي الْحَدِيثِ مُضَافَةٌ إِلَى الأُمَّةِ كُلِّهَا،حَيْثُ قَالَ: "يَا ابْنَ آدَمَ" فَيَشْمَلُ الذُّكُورَ وَالإِنَاثَ.

••ثَانِيًا: بَيَانُ بَعْضِ أَسْبَابِ مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ وَهِيَ:

"-أ" دُعَاءُ اللهِ وَرَجَاؤُهُ: وَالدُّعَاءُ يَنْقَسِمُ إِلَي قِسْمَيْنِ:
-1دُعَاءُ مَسْأَلَةٍ وَطَلَبٍ كَأَنْ تَقُولُ:"رَبِّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي وَاهْدِنِي وَاجْبُرْنِي."

-2دُعَاءُ عِبَادَةٍ كَالصَّلاةِ ،والزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ ،وَالْحَجِّ ،وَالْعُمْرَةِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَسَائِرِ أَعْمَالِ الْبِرِّ.

-وَالدَّلِيلُ عَلَي أَنَّ الْعِبَادَةَ دُعَاءٌ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ". (غافر:60).

-فَقَالَ: "ادْعُونِي" ثُمَّ قَالَ: "يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي" فَسَمَّى الدُّعَاءَ عِبَادَةً.

-وَفِيمَا أَخْرَجَهُ الإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي سُنَنِهِ كِتَابُ الدَّعَوَاتِ وَقَالَ:حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ بِرَقَمِ"3372" عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ ثُمَّ قَرَأَ:"وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ."

-يَقُولُ الْعَلَّامَةُ الْعُثَيْمِين -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: "وَوَجْهُهُ ظَاهِرٌ جِداً،لأَنَّ دَاعِيَ اللهِ مُتَذَلِّلٌ للهِ عَزّ وَجَلَّ مُنْكَسِرٌ لَهُ، قَدْ عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ، وَأَنَّهُ لايَمْلُكُ لَهَا نَفْعاً وَلاضَرّاً.

أَمَّا كَيْفَ كَانَتْ الْعِبَادَةُ دُعَاءً: فَلأَنَّ الْمُتَعَبِّدَ للهِ دَاعٍ بِلِسَانِ

الْحَالِ، فَلَوْ سَأَلْتَ الْمُصَلِّيَ لِمَاذَا صَلَّى لَقَالَ: أَرْجُو ثَوَابَ اللهِ، إذاً فَهُوَ دَاعٍ بِلِسَانِ الْحَالِ، وَعَلَيْهِ فَيَكُونُ قَوْلُهُ:"مَا دَعَوتَنِيْ وَرَجَوتَنِي" يَشْمَلُ دُعَاءَ الْعِبَادَةِ وَدُعَاءَ الْمَسْأَلَةِ، وَلَكِنْ لاحِظِ الْقَيْدَ فِي قَوْلِهِ: "وَرَجَوتَنِيْ" فَلابُدَّ مِنْ هَذَا الْقَيْدِ، أَيْ: أَنْ تَكُونَ دَاعِياً للهِ رَاجِياً إجَابَتَهُ، وَأَمَّا أَنْ تَدْعُو الله بِقَلْبٍ غَافِلٍ فَأَنْتَ بَعِيدٌ مِنَ الإجَابَةِ، فَلابُدَّ مِنَ الدُّعَاءِ وَالرَّجَاءِ."

"-ب"الاسْتِغْفَارُ:

-وَمَعْنَي الاسْتِغْفَارِ: :طَلَبُ الْمَغْفِرَةِ، فَالسِّينُ وَالتَّاءُ فِي اللُّغَةِ للطَّلَبِ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: أَسْتَغْفِرُ الله، فَمَعْنَاهُ أَطْلُبُ مِنْهُ الْمَغْفِرَةَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: أَسْتَعِينُ بِالله، أَيْ: أَطْلُبُ مِنْهُ تَعَالَى الْعَوْنَ.

وَقَدْ جَاءَ الأَمْرُ بِالاسْتِغْفَارِ فِي كِتَابِ الله تَعَالَى، وَفِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهﷺ، سَوَاء كَانَ ذَلِكَ بَعْدَ ارْتِكَابِ مَا يَسْتَدْعِي طَلَبَ الْمَغْفِرَةِ مِنَ الْمُخَالَفَةِ الشَّرْعِيَّةِ، أَوْ بَعْدَ الطَّاعَةِ أَوْ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

-قَالَ الله تَعَالَى عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ هُودٍ- عَلَيْهِ السَّلامُ:- "وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم

مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ".(هود:52).

-وَقَالَ الله تَعَالَى في كتابه الكريم لِنَبِيِّهِ الأمينِ ﷺ: "فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً". (النَّصر:3).

-وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يسْتَغْفِرُ رَبَّهُ فِي الْمَجْلِسِ مِائَةَ مَرَّةٍ.

"-ج"تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ:

فَمِنْ أَسْبَابِ الْمَغْفِرَةِ تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ. فَالتَّوْحِيدُ هُوَ أَوَّلُ دُعَاءٍ دَعَا بِهِ كُلُّ نَبِيٍّ وَكُلُّ رَسُولٍ قَوْمَهُ.

-قَالَ اللهُ تَعَالَى: "وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ". (هود:50).

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: "وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ". (هود:84).

-وَالتَّوْحِيدُ هُوَ أَوَّلُ نِدَاءٍ عَلَي مَائِدَةِ الْقُرْآنِ الْعَظِيم، فَأَوَّلُ نِدَاءٍ عَلَي مَائِدَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ هوَ نِدَاءُ التَّوْحِيدِ.

-قَالَ الله تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ". (البقرة:21).

-وَالتَّوْحِيدُ هُوَ حَقُّ الله عَلَي جَمِيعِ الْعَبِيدِ، فَالله مَا خَلَقَ الْخَلْقَ إلا لِيَعْبُدُوهُ وَبِالتَّوْحِيدِ يُفْرِدُوهُ.

-قَالَ اللهُ تَعَالَى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ". (الذَّاريات:56:58).

-وَأَخْرَجَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ-كِتَابُ التَّوْحِيدِ بِرَقَمِ"6938" عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ: قَالَ النَّبِيُّﷺ:"يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَاد؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم.، قَالَ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْه؟ قَالَ :اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ."

-وَأَخْرَجَ الإِمَامُ أَبُودَاود-رَحِمَهُ اللهُ-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ"3116" وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ- فِي صَحِيحِ أَبِي دَاوُد: "279/2"عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَل-رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ."

--وَأَخْرَجَ الإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي سُنَنِهِ كِتَابُ الإِيمَانِ بَاب فِيمَنْ يَمُوتُ وَهُوَ يَشْهَدُ أن لاإله إلاالله-وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ

الأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِرَقَمِ"2639" عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاص-رَضِيّ اللهُ عَنْهُمَا-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ فَيَقُولُ لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ أَفَلَكَ عُذْرٌ فَيَقُولُ لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ احْضُرْ وَزْنَكَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ فَقَالَ إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ قَالَ فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ."

••ثَالِثًا: النَّفْيُ وَالْإِثْبَاتُ فِي صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى:

-فَفِي الْحَدِيثِ إِثْبَاتُ صِفَاتِ النَّفْيِ الَّتِي يُسَمِّيهَا الْعُلَمَاءُ الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ، لِقَوْلِهِ: "وَلاَ أُبَالِي" فَإِنَّ هَذِهِ صِفَةٌ مَنْفِيَّةٌ عَنِ اللهِ تَعَالَى، وَهَذَا مِنْ قِسْمِ الْعَقَائِدِ. وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ

مِثْلَ قَوْلِهِ:"لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ".(البقرة:255). وَقَوْلِهِ:"وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً". (سورة الكهف: 49). وَقَوْلِهِ:"وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ". (سورة الفرقان: 58). وَهِيَ كَثِيرَةٌ. -وَلَكِنِ اعْلَم أنَّ الْمُرَادَ بِالصِّفَاتِ الْمَنْفِيَّةِ إثْبَاتُ كَمَالِ الضِّدِّ، فَيَكُونُ نَفْيُ الْمُبَالاةِ هُنَا يُرَادُ بِهِ كَمَالُ السُّلْطَانِ وَالْفَضْلِ وَالإحْسَانِ، وَأَنَّهُ لا أَحَدٌ يَعْتَرِضُ عَلَى الله أَوْ يُجَادِلُهُ فِيمَا أَرَادَ.

••رَابِعًا: اللهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا: -مِنْ فَوَائِدِ الْحَدِيثِ بَيَانُ أَنَّ الله تَعَالَى يَغْفِرُ الذُّنُوبِ جَمِيعاً مَهْمَا عَظُمَتْ لِقَوْلِهِ: "لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاء ثُمَّ استَغْفَرْتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ"فَقَوْلُهُ: "عَنَانَ السَّمَاءِ"أيْ: ارْتِفَاع السُّحُبِ فِي السَّمَاءِ- وَأنَّ الإنْسَانَ مَتَى اسْتَغْفَرَ الله عَزّ وَجَلَّ مِنْ أَيِّ ذَنْبٍ كَانَ عِظَمَاً وَقَدْراً فَإنَّ الله تَعَالَى يَغْفِرُهُ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: "وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً". (النِّساء: 110).

-مَعَ التَّنْبِيه عَلَي أنَّ الاسْتِغْفَارَ يَجِبُ أنْ يَكُونَ بِشُرُوطِهِ:مِنْ إخْلاصٍ لله تَعَالَى، وَنَدَمٍ عَلَي اقْتِرَافِ الذَّنْبِ، وَإقْلاعٍ عَنِ

الذَّنْبِ، وَعَزْمٍ عَلَي عَدَمِ الْعَوْدَةِ إِلَي الذَّنْبِ، وَإِذَا تَعَلَّقَ الذَّنْبُ بِحَقِّ آدَمِيٍّ فَلابُدَّ مِنْ رَدِّ الْمَظَالِمِ لأصْحَابِهَا أوْ طَلَبِ الْعَفْوِ مِنْهُم، أوْ كَثْرَةِ الاسْتِغْفَارِلَهُم عَنْ حُقُوقِهِم الَّتِي لايَجُوزُ إِخْبَارُهُم بِهَا حِرْصًا عَلَي الأخُوَّةِ الإيمَانِيَّةِ ك"الْغِيبَةِ"مَثَلَا، مَعَ رَدِّ غَيْبَتِهِم فِي مَجْلِسِ الْغِيبَةِ وَكَثْرَةِ الاسْتِغْفَارِ لَهُمْ.

••خَامِسًا: إِثْبَاتُ مُلاقَاةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

-فِي الْحَدِيثِ إِثْبَاتُ لِقَاءِ الله عَزَّ وَجَلَّ، لِقَوْلِهِ: "ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَتُشْرِك بِي شَيْئَاً" وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ كِتَابُ الله عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى":فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً". (الكهف: 110). وَقَالَ الله تعالى:"يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ". (الانشقاق: 6). فَلابُدَّ مِنْ مُلاقَاةِ اللهِ ﷻ، وَالنُّصُوصُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ، فَيُؤْخَذُ مِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يَسْتَعِدَّ لِمُلاقَاةِ الله، وَأَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ يُلاقِي اللهَ، هَلْ يُلاقِيهِ عَلَى حَالٍ مَرْضِيَّةٍ عِنْدَ الله ﷻ، أوْ عَلَى الْعَكْسِ؟ فَفَتِّشْ نَفْسَكَ وَاعْرِفْ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ.

■فَهَلْ اسْتَبْصَرْتَ يَا عَبْدَ اللهِ سَعَةَ رَحْمَةِ اللهِ وَعَفْوَهُ؟! فَارْحَمْ أَهْلَ الْمَعْصِيَةِ وَلاتُقَنِّطْهُم مِنْ رَحْمَةِ اللهِ الْوَاسِعَةِ بِسُوءِ مُعَامَلَتِكَ وَعُبُوسَةِ وَجْهِكَ وَقُبْحِ أَلْفَاظِكَ، بَلْ كُنْ رَحْمَةً لَهُمْ بِتَذْكِيرِهِمْ بِسَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ وَتَرْهِيبِهِم مِنَ الْمُخَالَفَةِ وَأَشْعِرْهُمْ بِخَوْفِكَ عَلَيْهِمْ وَحِرْصِكَ عَلَي مَا يَنْفَعُهُمْ.

❖ الْبَصِيرَةُ الْخَامِسَةُ:

أَخْرَجَ البُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي صَحِيحِهِ -كِتَابُ التَّوْحِيد- بَاب قول اللهِ تَعَالَى وَيُحَذِّرُكُم اللهُ نَفْسَهُ بِرَقَم"6970"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْه- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :"يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً."

■فَاسْتَبْصِرْ يَاطَالِبَ العِلْمِ-رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ-فِي سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ وَخَاصَّةً مَعَ مَنْ ابْتَعَدُوا وَقَصَّرُوا كَيْفَ يَفْتَحُ أَمَامَهُم بَابَ الرَّجَاءِ؟!

فَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحَادِيثِ الرَّجَاءِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَحُثُّ الْمُسْلِمَ عَلَى حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ جَلَّ وَعَلا ، وَالإِكْثَارِ مِنْ ذِكْرِهِ ، وَبَيَانِ قُرْبِ اللهِ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ الْعَبْدُ بِأَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ.

■ وَإِلَيْكَ شَرْحُ الْحَدِيثِ لِتَزْدَادَ بَصِيرَةً:

• فَقَوْلُهُ : "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي"أَيْ :قَادِرٌ عَلَى أَنْ أَعْمَلَ بِهِ مَا ظَنَّ أَنِّي عَامِلٌ بِهِ ، وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ : وَفِي السِّيَاقِ إِشَارَةٌ إِلَى تَرْجِيحِ جَانِبِ الرَّجَاءِ عَلَى الْخَوْفِ وَكَأَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ جِهَةِ التَّسْوِيَةِ فَإِنَّ الْعَاقِلَ إِذَا سَمِعَ ذَلِكَ لَا يَعْدِلُ إِلَى ظَنِّ إِيقَاعِ الْوَعِيدِ وَهُوَ جَانِبُ الْخَوْفِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخْتَارُهُ لِنَفْسِهِ بَلْ يَعْدِلُ إِلَى ظَنِّ وُقُوعِ الْوَعْدِ وَهُوَ جَانِبُ الرَّجَاءِ وَهُوَ كَمَا قَالَ أَهْلُ التَّحْقِيقِ مُقَيَّدٌ بِالْمُحْتَضِرِ وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ حَدِيثُ لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ وَهُوَ عِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ . وَأَمَّا قَبْلُ ذَلِكَ فَفِي الْأَوَّلِ أَقْوَالٌ ثَالِثُهَا الِاعْتِدَالُ وَقَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ : الْمُرَادُ بِالظَّنِّ هُنَا الْعِلْمُ وَهُوَ كَقَوْلِهِ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمُفْهِمِ قِيلَ مَعْنَى ظَنِّ عَبْدِي بِي ظَنُّ الْإِجَابَةِ عِنْدَ الدُّعَاءِ وَظَنُّ الْقَبُولِ عِنْدَ التَّوْبَةِ

وَظَنُّ الْمَغْفِرَةِ عِنْدَ الِاسْتِغْفَارِ وَظَنُّ الْمُجَازَاةِ عِنْدَ فِعْلِ الْعِبَادَةِ بِشُرُوطِهَا تَمَسُّكًا بِصَادِقِ وَعْدِهِ ، وَقَالَ : وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ : ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ . قَالَ : وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْقِيَامِ بِمَا عَلَيْهِ مُوقِنًا بِأَنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهُ وَيَغْفِرُ لَهُ ؛ لِأَنَّهُ وَعَدَ بِذَلِكَ وَهُوَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ فَإِنِ اعْتَقَدَ أَوْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُهَا وَأَنَّهَا لَا تَنْفَعُهُ فَهَذَا هُوَ الْيَأْسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَهُوَ مِنَ الْكَبَائِرِ ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ وُكِلَ إِلَى مَا ظَنَّ كَمَا فِي بَعْضِ طُرُقِ الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ فَلْيَظُنَّ بِي عَبْدِي مَا شَاءَ قَالَ : وَأَمَّا ظَنُّ الْمَغْفِرَةِ مَعَ الْإِصْرَارِ فَذَلِكَ مَحْضُ الْجَهْلِ وَالْغِرَّةُ وَهُوَ يَجُرُّ إِلَى مَذْهَبِ الْمُرْجِئَةِ.

•وَقَوْلُهُ:" وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي" أَيْ: بِعِلْمِي وَهُوَ كَقَوْلِهِ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى وَالْمَعِيَّةُ الْمَذْكُورَةُ أَخَصُّ مِنَ الْمَعِيَّةِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ إِلَى قَوْلِهِ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا وَقَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ مَعْنَاهُ فَأَنَا مَعَهُ حَسَبَ مَا قَصَدَ مِنْ ذِكْرِهِ لِي قَالَ : ثُمَّ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الذِّكْرُ بِاللِّسَانِ فَقَطْ أَوْ بِالْقَلْبِ فَقَطْ أَوْ بِهِمَا أَوْ بِامْتِثَالِ الْأَمْرِ

وَاجْتِنَابِ النَّهْيِ ، قَالَ وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ الْإِخْبَارُ أَنَّ الذِّكْرَ عَلَى نَوْعَيْنِ أَحَدُهُمَا مَقْطُوعٌ لِصَاحِبِهِ بِمَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْخَبَرُ وَالثَّانِي عَلَى خَطَرٍ ، قَالَ : وَالْأَوَّلُ يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَالثَّانِي مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي فِيهِ مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا لَكِنْ إِنْ كَانَ فِي حَالِ الْمَعْصِيَةِ يَذْكُرُ اللَّهَ بِخَوْفٍ وَوَجَلٍ مِمَّا هُوَ فِيهِ فَإِنَّهُ يُرْجَى لَهُ.

•وَقَوْلُهُ:" فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي" أَي:ٍ إِنْ ذَكَرَنِي بِالتَّنْزِيهِ وَالتَّقْدِيسِ سِرًّا ذَكَرْتُهُ بِالثَّوَابِ وَالرَّحْمَةِ سِرًّا. وَقَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَمَعْنَاهُ اذْكُرُونِي بِالتَّعْظِيمِ أَذْكُرْكُمْ بِالْإِنْعَامِ وَقَالَ تَعَالَى وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ أَيْ أَكْبَرُ الْعِبَادَاتِ فَمَنْ ذَكَرَهُ وَهُوَ خَائِفٌ آمَنَهُ أَوْ مُسْتَوْحِشٌ آنَسَهُ قَالَ تَعَالَى أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ.

•وَقَوْلُهُ: "وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ " بِفَتْحِ الْمِيمِ وَاللَّامِ مَهْمُوزٌ أَيْ: جَمَاعَةٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ :

يُسْتَفَادُ مِنْهُ أَنَّ الذِّكْرَ الْخَفِيَّ أَفْضَلُ مِنَ الذِّكْرِ الْجَهْرِيِّ وَالتَّقْدِيرُ : إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ بِثَوَابٍ لَا أُطْلِعُ عَلَيْهِ أَحَدًا وَإِنْ ذَكَرَنِي جَهْرًا ذَكَرْتُهُ بِثَوَابٍ أُطْلِعُ عَلَيْهِ الْمَلَأَ الْأَعْلَى وَقَالَ ابْنُ بَطَّالٍ : هَذَا نَصٌّ فِي أَنَّ الْمَلَائِكَةَ أَفْضَلُ مِنْ بَنِي آدَمَ وَهُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَعَلَى ذَلِكَ شَوَاهِدُ مِنَ الْقُرْآنِ مِثْلُ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَالْخَالِدُ أَفْضَلُ مِنَ الْفَانِي فَالْمَلَائِكَةُ أَفْضَلُ مِنْ بَنِي آدَمَ وَتُعُقِّبَ بِأَنَّ الْمَعْرُوفَ عَنْ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ صَالِحِي بَنِي آدَمَ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ الْأَجْنَاسِ وَالَّذِينَ ذَهَبُوا إِلَى تَفْضِيلِ الْمَلَائِكَةِ الْفَلَاسِفَةُ ثُمَّ الْمُعْتَزِلَةُ وَقَلِيلٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ أَهْلِ التَّصَوُّفِ وَبَعْضِ أَهْلِ الظَّاهِرِ فَمِنْهُمْ مَنْ فَاضَلَ بَيْنَ الْجِنْسَيْنِ فَقَالُوا حَقِيقَةُ الْمَلَكِ أَفْضَلُ مِنْ حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِ ؛ لِأَنَّهَا نُورَانِيَّةٌ وَخَيِّرَةٌ وَلَطِيفَةٌ مَعَ سَعَةِ الْعِلْمِ وَالْقُوَّةِ وَصَفَاءِ الْجَوْهَرِ وَهَذَا لَا يَسْتَلْزِمُ تَفْضِيلَ كُلِّ فَرْدٍ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ فِي بَعْضِ الْأَنَاسِيِّ مَا فِي ذَلِكَ وَزِيَادَةٌ وَمِنْهُمْ مَنْ خَصَّ الْخِلَافَ بِصَالِحِي الْبَشَرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ خَصَّهُ بِالْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ فَضَّلَ الْمَلَائِكَةَ عَلَى غَيْرِ

الْأَنْبِيَاءِ وَمِنْهُمْ مَنْ فَضَّلَهُمْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ أَيْضًا إِلَّا عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَمِنْ أَدِلَّةِ تَفْضِيلِ النَّبِيِّ عَلَى الْمَلَكِ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ عَلَى سَبِيلِ التَّكْرِيمِ لَهُ حَتَّى قَالَ إِبْلِيس:" أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ" وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى :"لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ" لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى الْعِنَايَةِ بِهِ وَلَمْ يَثْبُتْ ذَلِكَ لِلْمَلَائِكَةِ ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ" وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى:" وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ" فَدَخَلَ فِي عُمُومِهِ الْمَلَائِكَةُ، وَالْمُسَخَّرُ لَهُ أَفْضَلُ مِنَ الْمُسَخَّرِ ؛ وَلِأَنَّ طَاعَةَ الْمَلَائِكَةِ بِأَصْلِ الْخِلْقَةِ وَطَاعَةَ الْبَشَرِ غَالِبًا مَعَ الْمُجَاهَدَةِ لِلنَّفْسِ لِمَا طُبِعَتْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّهْوَةِ وَالْحِرْصِ وَالْهَوَى وَالْغَضَبِ ، فَكَانَتْ عِبَادَتُهُمْ أَشَقَّ ، وَأَيْضًا فَطَاعَةُ الْمَلَائِكَةِ بِالْأَمْرِ الْوَارِدِ عَلَيْهِمْ وَطَاعَةُ الْبَشَرِ بِالنَّصِّ تَارَةً وَبِالِاجْتِهَادِ تَارَةً وَالِاسْتِنْبَاطِ تَارَةً فَكَانَتْ أَشَقَّ ؛ وَلِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ سَلِمَتْ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيَاطِينِ وَإِلْقَاءِ الشُّبَهِ وَالْإِغْوَاءِ الْجَائِزَةِ عَلَى الْبَشَرِ ، وَلِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُشَاهِدُ حَقَائِقَ الْمَلَكُوتِ وَالْبَشَرُ لَا يَعْرِفُونَ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِعْلَامِ

فَلَا يَسْلَمُ مِنْهُمْ مِنْ إِدْخَالِ الشُّبْهَةِ مِنْ جِهَةِ تَدْبِيرِ الْكَوَاكِبِ وَحَرَكَةِ الْأَفْلَاكِ إِلَّا الثَّابِتُ عَلَى دِينِهِ وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ وَمُجَاهَدَاتٍ كَثِيرَةٍ ، وَأَمَّا أَدِلَّةُ الْآخَرِينَ فَقَدْ قِيلَ إِنَّ حَدِيثَ الْبَابِ أَقْوَى مَا اسْتُدِلَّ بِهِ لِذَلِكَ لِلتَّصْرِيحِ بِقَوْلِهِ فِيهِ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَالْمُرَادُ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْغُلَاةِ فِي ذَلِكَ وَكَمْ مِنْ ذَاكِرٍ لِلَّهِ فِي مَلَإٍ فِيهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَأَجَابَ بَعْضُ أَهْلِ السُّنَّةِ بِأَنَّ الْخَبَرَ الْمَذْكُورَ لَيْسَ نَصًّا وَلَا صَرِيحًا فِي الْمُرَادِ بَلْ يَطْرُقُهُ احْتِمَالُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْمَلَإِ الَّذِينَ هُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمَلَإِ الذَّاكِرِ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ فَإِنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ فَلَمْ يَنْحَصِرْ ذَلِكَ فِي الْمَلَائِكَةِ ، وَأَجَابَ آخَرُ وَهُوَ أَقْوَى مِنَ الْأَوَّلِ بِأَنَّ الْخَيْرِيَّةَ إِنَّمَا حَصَلَتْ بِالذَّاكِرِ وَالْمَلَإِ مَعًا فَالْجَانِبُ الَّذِي فِيهِ رَبُّ الْعِزَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي لَيْسَ هُوَ فِيهِ بِلَا ارْتِيَابٍ فَالْخَيْرِيَّةُ حَصَلَتْ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَجْمُوعِ عَلَى الْمَجْمُوعِ وَهَذَا الْجَوَابُ ظَهَرَ لِي وَظَنَنْتُ أَنَّهُ مُبْتَكَرٌ . ثُمَّ رَأَيْتُهُ فِي كَلَامِ الْقَاضِي كَمَالِ الدِّينِ بْنِ الزَّمَلْكَانِيِّ فِي الْجُزْءِ الَّذِي جَمَعَهُ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى فَقَالَ : "إِنَّ اللَّهَ قَابَلَ ذِكْرَ الْعَبْدِ

فِي نَفْسِهِ بِذِكْرِهِ لَهُ فِي نَفْسِهِ ، وَقَابَلَ ذِكْرَ الْعَبْدِ فِي الْمَلَأِ بِذِكْرِهِ لَهُ فِي الْمَلَأِ فَإِنَّمَا صَارَ الذِّكْرُ فِي الْمَلَأِ الثَّانِي خَيْرًا مِنَ الذِّكْرِ فِي الْأَوَّلِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الذَّاكِرُ فِيهِمْ وَالْمَلَأُ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ وَاللَّهُ فِيهِمْ أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَأِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ وَلَيْسَ اللَّهُ فِيهِمْ ، وَمِنْ أَدِلَّةِ الْمُعْتَزِلَةِ تَقْدِيمُ الْمَلَائِكَةِ فِي الذِّكْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "(مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ)". وَتُعُقِّبَ بِأَنَّ مُجَرَّدَ التَّقْدِيمِ فِي الذِّكْرِ لَا يَسْتَلْزِمُ التَّفْضِيلَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَنْحَصِرْ فِيهِ بَلْ لَهُ أَسْبَابٌ أُخْرَى كَالتَّقْدِيمِ بِالزَّمَانِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ فَقَدَّمَ نُوحًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ لِتَقَدُّمِ زَمَانِ نُوحٍ مَعَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ أَفْضَلُ وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى:" لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ" وَبَالَغَ الزَّمَخْشَرِيُّ فَادَّعَى أَنَّ دَلَالَتَهَا لِهَذَا الْمَطْلُوبِ قَطْعِيَّةٌ بِالنِّسْبَةِ لِعِلْمِ الْمَعَانِي فَقَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ أَيْ وَلَا مَنْ هُوَ أَعْلَى قَدْرًا مِنَ الْمَسِيحِ ، وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْكَرُوبِيُّونَ الَّذِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ ، كَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ ، قَالَ : وَلَا

يَقْتَضِي عِلْمُ الْمَعَانِي غَيْرَ هَذَا مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا سِيقَ لِلرَّدِّ عَلَى النَّصَارَى لِغُلُوِّهِمْ فِي الْمَسِيحِ ، فَقِيلَ لَهُمْ : لَنْ يَتَرَفَّعَ فِيهِ الْمَسِيحُ عَنِ الْعُبُودِيَّةِ وَلَا مَنْ هُوَ أَرْفَعُ دَرَجَةً مِنْهُ انْتَهَى . مُلَخَّصًا ، وَأُجِيبَ بِأَنَّ التَّرَقِّيَ لَا يَسْتَلْزِمُ التَّفْضِيلَ الْمُتَنَازَعَ فِيهِ وَإِنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ الْمَقَامِ ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلًّا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْمَسِيحِ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ الْمَسِيحَ الَّذِي تُشَاهِدُونَهُ لَمْ يَتَكَبَّرْ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَكَذَلِكَ مَنْ غَابَ عَنْكُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا يَتَكَبَّرُ ، وَالنُّفُوسُ لِمَا غَابَ عَنْهَا أَهْيَبُ مِمَّنْ تُشَاهِدُهُ ؛ وَلِأَنَّ الصِّفَاتِ الَّتِي عَبَدُوا الْمَسِيحَ لِأَجْلِهَا مِنَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالِاطِّلَاعِ عَلَى الْمُغَيَّبَاتِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ مَوْجُودَةٌ فِي الْمَلَائِكَةِ ، فَإِنْ كَانَتْ تُوجِبُ عِبَادَتَهُ فَهِيَ مُوجِبَةٌ لِعِبَادَتِهِمْ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَسْتَنْكِفُونَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا التَّرَقِّي ثُبُوتُ الْأَفْضَلِيَّةِ الْمُتَنَازَعِ فِيهَا ، وَقَالَ الْبَيْضَاوِيُّ احْتَجَّ بِهَذَا الْعَطْفِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَقَالَ هِيَ مُسَاقَةٌ لِلرَّدِّ عَلَى النَّصَارَى فِي رَفْعِ الْمَسِيحِ عَنْ مَقَامِ الْعُبُودِيَّةِ ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ

أَعْلَى دَرَجَةً مِنْهُ حَتَّى يَكُونَ عَدَمُ اسْتِنْكَافِهِمْ كَالدَّلِيلِ عَلَى عَدَمِ اسْتِنْكَافِهِ ، وَجَوَابُهُ أَنَّ الْآيَةَ سِيقَتْ لِلرَّدِّ عَلَى عَبَدَةِ الْمَسِيحِ وَالْمَلَائِكَةِ ، فَأُرِيدَ بِالْعَطْفِ الْمُبَالَغَةُ بِاعْتِبَارِ الْكَثْرَةِ دُونَ التَّفْضِيلِ ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ أَصْبَحَ الْأَمِيرُ لَا يُخَالِفُهُ رَئِيسٌ وَلَا مَرْءُوسٌ ، وَعَلَى تَقْدِيرِ إِرَادَةِ التَّفْضِيلِ فَغَايَتُهُ تَفْضِيلُ الْمُقَرَّبِينَ مِمَّنْ حَوْلَ الْعَرْشِ ، بَلْ مَنْ هُوَ أَعْلَى رُتْبَةً مِنْهُمْ عَلَى الْمَسِيحِ ، وَذَلِكَ لَا يَسْتَلْزِمُ فَضْلَ أَحَدِ الْجِنْسَيْنِ عَلَى الْآخَرِ مُطْلَقًا . وَقَالَ الطِّيبِيُّ : لَا تَتِمُّ لَهُمُ الدَّلَالَةُ إِلَّا إِنْ سُلِّمَ أَنَّ الْآيَةَ سِيقَتْ لِلرَّدِّ عَلَى النَّصَارَى فَقَطْ فَيَصِحُّ : لَنْ يَتَرَفَّعَ الْمَسِيحُ عَنِ الْعُبُودِيَّةِ وَلَا مَنْ هُوَ أَرْفَعُ مِنْهُ ، وَالَّذِي يَدَّعِي ذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى إِثْبَاتِ أَنَّ النَّصَارَى تَعْتَقِدُ تَفْضِيلَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْمَسِيحِ ، وَهُمْ لَا يَعْتَقِدُونَ ذَلِكَ بَلْ يَعْتَقِدُونَ فِيهِ الْإِلَهِيَّةَ فَلَا يَتِمُّ اسْتِدْلَالُ مَنِ اسْتَدَلَّ بِهِ ، قَالَ وَسِيَاقُهُ الْآيَةَ مِنْ أُسْلُوبِ التَّتْمِيمِ وَالْمُبَالَغَةِ لَا لِلتَّرَقِّي ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدَّمَ قَوْلَهُ: "(إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ)". إِلَى قَوْلِهِ :"وَكِيلًا "، فَقَرَّرَ الْوَحْدَانِيَّةَ وَالْمَالِكِيَّةَ وَالْقُدْرَةَ التَّامَّةَ ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِعَدَمِ الِاسْتِنْكَافِ ، فَالتَّقْدِيرُ لَا يَسْتَحِقُّ مَنِ

اتَّصَفَ بِذَلِكَ أَنْ يَسْتَكْبِرَ عَلَيْهِ الَّذِي تَتَّخِذُونَهُ أَيُّهَا النَّصَارَى إِلَهًا لِاعْتِقَادِكُمْ فِيهِ الْكَمَالَ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ اتَّخَذَهَا غَيْرُكُمْ آلِهَةً لِاعْتِقَادِهِمْ فِيهِمُ الْكَمَالَ . قُلْتُ : وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ الْبَغَوِيُّ مُلَخَّصًا ، وَلَفْظُهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ رَفْعًا لِمَقَامِهِمْ عَلَى مَقَامِ عِيسَى بَلْ رَدًّا عَلَى الَّذِينَ يَدَّعُونَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ آلِهَةٌ فَرَدَّ عَلَيْهِمْ كَمَا رَدَّ عَلَى النَّصَارَى الَّذِينَ يَدَّعُونَ التَّثْلِيثَ ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى:" قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ "فَنَفَى أَنْ يَكُونَ مَلَكًا ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ أَفْضَلُ ، وَتُعُقِّبَ بِأَنَّهُ إِنَّمَا نَفَى ذَلِكَ لِكَوْنِهِمْ طَلَبُوا مِنْهُ الْخَزَائِنَ وَعِلْمَ الْغَيْبِ، وَأَنْ يَكُونَ بِصِفَةِ الْمَلَكِ مِنْ تَرْكِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجِمَاعِ ، وَهُوَ مِنْ نَمَطِ إِنْكَارِهِمْ أَنْ يُرْسِلَ اللَّهُ بَشَرًا مِثْلَهُمْ فَنَفَى عَنْهُ أَنَّهُ مَلَكٌ ، وَلَا يَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ التَّفْضِيلَ ، وَمِنْهَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمَّا وَصَفَ جِبْرِيلَ وَمُحَمَّدًا ، قَالَ فِي جِبْرِيلَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَقَالَ فِي حَقِّ النَّبِيِّ ﷺ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ وَبَيْنَ الْوَصْفَيْنِ بَوْنٌ بَعِيدٌ ، وَتُعُقِّبَ بِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا سِيقَ لِلرَّدِّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الَّذِي يَأْتِيهِ - شَيْطَانٌ فَكَانَ وَصْفُ جِبْرِيلَ بِذَلِكَ تَعْظِيمًا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ

وَصَفَ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ بِمِثْلِ مَا وَصَفَ بِهِ جِبْرِيلَ هُنَا وَأَعْظَمَ مِنْهُ ، وَقَدْ أَفْرَطَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي سُوءِ الْأَدَبِ هُنَا ، وَقَالَ كَلَامًا يَسْتَلْزِمُ تَنْقِيصَ الْمَقَامِ الْمُحَمَّدِيِّ ، وَبَالَغَ الْأَئِمَّةُ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَهُوَ مِنْ زَلَّاتِهِ الشَّنِيعَةِ.

•وقَوْلُهُ تَعَالَى:"وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً"وَهَذَا مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ الَّتِي يَجِبُ عَلَيْنَا أنْ نُثْبِتَهَا لِلهِ وِفْقَ مُرَادِ اللهِ تَعَالَى كَمَايَلِيقُ بِكَمَالِهِ وَجَمَالِهِ وَجَلالِهِ بِغَيْرِ تَعْطِيلٍ ولاتَحْرِيفٍ وَلاتَكْييفٍ وَلاتَشْبِيهٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ". (الشُّورى:11). فَنُثْبِتُ للهِ تَعَالَى صِفَتَيْ:التَّقَرُّب وَالْهَرْوَلَةِ عَلَي الْمَعْنَي الَّذِي يَلِيقُ بِكَمَالِهِ دُونَ بَحْثٍ فِي الْكَيْفِ فَكُنْهُ الصِّفَاتِ لايُعْلَمُهَا إلا اللهُ فُنُثْبِتُهَا وِفْقَ مُرَادِ اللهِ تَعَالَى وَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْ لَوَازِمِهَا وَثَمَرَاتِهَا أَنَّ: مَنْ تَقَرَّبَ إِلَي اللهِ بِطَاعَتِهِ تَقَرَّبَ اللهُ إِلَيْهِ بِرَحْمَتِهِ وَبِالتَّوْفِيقِ وَالْإِعَانَةِ ، وَإِنْ زَادَ الْعَبْدُ زَادَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ، فَإِنْ أَتَي الْعَبْدُ رَبَّهُ يَمْشِي وَأَسْرَعَ فِي طَاعَتِهِ أَتَاهُ رَبُّهُ هَرْوَلَةً وَصَبَّ عَلَيْهِ الرَّحْمَةَ

وَسَبَقَهُ بِهَا، وَلَمْ يُحْوِجْهُ إِلَى الْمَشْيِ الْكَثِيرِ فِي الْوُصُولِ إِلَى الْمَقْصُودِ ،فَجَزَاؤُهُ يَكُونُ تَضْعِيفُهُ عَلَى حَسَبِ تَقَرُّبِهِ.

■فَمَا أَجْمَلَ حُسْنَ الظَّنّ بِاللهِ تَعَالَى!! فَهُوَ يَفْتَحُ بَابَ الرَّجَاءِ أَمَامَ الْعُصَاةِ وَالْمُذْنِبِينَ كَيْ يَتُوبُوا إِلَي رَبِّهِمْ لِيُحَصِّلُوا هَذِهِ الْعَطَايَا وَالْمِنَحِ الْإِلَهِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْحَدِثِ الْقُدْسِيّ السَّابِقِ لِذَا فَإِلَيْكَ يَاطَالِبَ الْعِلْمِ بَيَانُ أَنْوَاعِ الظَّنّ وَحُكْمِهُ وَأَثَرِهُ عَلَى الْعَبْدِ لِتَزْدَادَ بَصِيرَةً:

■أَنْوَاعُ الظَّنّ، وَأَحْكَامُهُ: مِنْ خِلالِ التَّتَبُعِ وَالاسْتِقْرَاءِ لِنُصُوصِ الْوَحْيَينِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ وَالسُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ يَتَبَيَّنُ أَنَّ الظَّنَّ لا يَخْرُجُ عَنْ أُمُورٍ خَمْسَةٍ:

•الأَوَّلُ: الظَّنُّ الْمُحَرَّمُ: -وَهُوَ سُوءُ الظَّنّ بِاللهِ، وَيُقَابِلُهُ وُجُوبُ حُسْنِ الظَّنّ بِاللهِ. فَعَنْ جَابِر-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ، يَقُولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ». (مسلم "2205/4").

•الثَّانِي: الظَّنُّ الدَّائِرُ بَينَ الْحُرْمَةِ وَالْكَرَاهَةِ: وَهُوَ سُوءُ الظَّنّ بِالْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ ظَاهِرُهُم الْعَدَالَةُ، فَإِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ دُونَ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ أَوْ إِشَارَةٍ فَهُوَ مَكْرُوهٌ،وَيَحْرُمُ إِذَا صَحِبَهُ قَوْلٌ أَوْ عَمَلٌ كَتَجَسُّسٍ أَوْ تَتَبُّع عَوْرَاتٍ،أَوْ إِشَارَةٍ يُفْهَمُ مِنْهَا التُّهْمَةُ وَسُوءُ الظَّنّ ،وَالْمَطْلُوبُ حُسْنُ الظَّنّ بِهِم.

•الثَّالِثُ: الظَّنُّ الْمُبَاحُ: وَهُوَ الَّذِي يَعْرِضُ فِي قَلْبِ الْمُسْلِمِ فِي أَخِيهِ بِسَبَبٍ مَا يُوجِبُ الرِّيبَةَ، وَهَذَا الظَّنُّ لا يُحَقَّقُ.

•الرَّابِعُ: الظَّنُّ الْمَنْدُوبُ إِلَيْهِ: -وَهُوَ حُسْنُ الظَّنّ بِالأَخِ الْمُسْلِمِ عَلَيْهِ الثَّوَابُ. فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ، قَالَ: «حُسْنُ الظَّنّ مِنْ حُسْنِ الْعِبَادَةِ». (أبي داود "298/4").

•الْخَامِسُ: الظَّنُّ الْمَأْمُورُ بِهِ: -وَهُوَ الظَّنُّ فِيمَا لَمْ يَنُصّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ يُوَصِّلُنَا إِلَى الْعِلْمِ، وَقَدْ تَعَبَّدَنَا اللهُ بِالاقْتِصَارِ عَلَى الْغَالِبِ الظَّنِّيّ فِيهِ، كَقَبُولِ شَهَادَةِ الْعُدُولِ، وَتَحَرِّى الْقِبْلَة،وتقويم المستهلكات.

•وَقَدْ أجْمَلَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-أَقْسَامَ الظَّنِّ فِي قِسْمَينِ رَئِيسَيْنِ فَقَالَ: "الظَّنُّ ظَنَّانِ: ظَنٌّ إِثْمٌ، وَظَنٌّ لَيْسَ بِإِثْمٍ. فَأَمَّا الَّذِي هُوَ إِثْمٌ: فَالَّذِي يَظُنُّ ظَنًّا، وَيَتَكَلَّمُ بِهِ، وَالَّذِي لَيْسَ بِإِثْمٍ فَالَّذِي يَظُنُّ ظَنًّا، وَلا يَتَكَلَّمُ بِهِ."

•وَالظَّنُّ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأُمُورِ مَذْمُومٌ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: "وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ". (سورة يونس:36الآية). وَقَالَ تَعَالَى":وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا".(النَّجم:28).

■ أَثَرُ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ عَلَى الْمُؤْمِنِ: وَذَلِكَ بِأَثَرِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ؛ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ حِينَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ لا يَزَالُ قَلْبُهُ مُطْمَئِنًا وَنَفْسُهُ آمِنَةً، تَغْمُرُهَا السَّعَادَةُ وَالرِّضَى بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَخُضُوعِهِ لِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَالْقَلْبُ الْمُؤْمِنُ حَسَنُ الظَّنِّ بِرَبِّهِ، يَتَوَقَّعُ مِنْهُ الْخَيْرَ دَائِمًا، يَتَوَقَّعُ مِنْهُ الْخَيْرَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَيُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ يُرِيدُ بِهِ الْخَيْرَ فِي الْحَالَيْنِ؛ وَسِرُّ ذَلِكَ أَنَّ قَلْبَهُ مَوْصُولٌ بِاللهِ، وَفَيْضُ الْخَيْرِ مِنَ اللهِ لا

يَنْقَطِعُ أَبَدًا؛ فَمَتَى اتَّصَلَ الْقَلْبُ بِهِ لَمَسَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ الأَصِيلَةَ وَأَحَسَّهَا إِحْسَاسَ مُبَاشَرَةٍ وَتَذَوُّقٍ.

•بَلْ إِنَّ مَنْ أَحْسَنَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ جَعَلَ اللهُ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرِهِ يُسْرًا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ فَرَجًا وَمَخْرَجًا، وَالْعَاقِلُ مَنِ اسْتَعْمَلَ فِي كُلِّ بَلِيَّةٍ تَطْرُقُه حُسْنَ الظَّنِّ بِاللهِ عَزَّ وَ جَلَّ فِي كَشْفِهَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَقْرَبُ إِلَى الْفَرَجِ.

•كَمَا أَنَّ مَنْ أَحْسَنَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَأَيْقَنَ صِدْقَ وَعْدِهِ وَتَمَامَ أَمْرِهِ وَمَا أَخْبَرَ بِهِ مِن نُّصْرَةِ الدِّين وَالتَّمْكِينِ فِي الأَرْضِ لِلمُؤْمِنِينَ، أَجْهَدَ نَفْسَهُ فِي الْعَمَلِ لِهَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ غَيْرَ هَيَّابٍ وَلا وَجِلٍ، بَلْ يُقدِمُ إِقْدَامَ الْوَاثِقِ بِنَصْرِ اللهِ وَمَوْعُودِهِ وَهُوَ يَلْمَحُ نُورَ الْفَجْرِ الصَّادِقِ وَقَدْ أَطَلَّ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ، فَلا يُعَلِّقُ آمَالَهُ إِلا بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلا يَتَوَكَّلُ إِلا عَلَيْهِ.

•وَمِنْ أَثَرِ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَيْضًا أَنَّهُ عِنْدَمَا يَسْمَعُ مَا يُخْبِرُ بِهِ اللهُ تَعَالَى عَن نَّفْسِهِ مِنْ أَنَّهُ عَفُوٌّ غَفُورٌ وَتَوَّابٌ رَحِيمٌ، وَيَسْمَعُ قَوْلَ نَبِيِّهِﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى

يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا». (أخرجه أحمد "395/4، رقم 19547"، ومسلم "2113/4، رقم 2759"). فَإِنَّهُ يَطْمَعُ بِعَفْوِهِ فَيَطْرُقُ بَابَهُ مُنْطَرِحًا بَيْنَ يَدَيْهِ رَاجِيًا مَغْفِرَتَهُ، وَأَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِ مِنْ مَعَاصِيهِ.

•وَمِنْ أَثَرِ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ تَعَالَى عَلَي الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ يَقُودُهُ إِلَي حُسْنِ الْعَمَلِ الَّذِي يُحَقِّقُ لَهُ الْفَلاحَ فِي الآخِرَةِ وَالْفَوْزَ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِي جَنَّةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

■ وَبَعْدَ هَذَا الْعَرْضِ لِهَذِهِ الْبَصِيرَةِ الإيمَانِيَّةِ فِي سَعَةِ فَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ وَتَوَدُّدِهِ إِلَي عِبَادِهِ لِيَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ لِيُغْدِقَ عَلَيْهِم مِنْ عَطَايَاهُ وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْهُم، فَلَعَلَّكَ اسْتَبْصَرْتَ يَاطَالِبَ الْعِلْمِ كَيْفِيَّةَ التَّعَامُلِ مَعَ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ ،فَكُنْ رَحِيمًا بِهِم، مُشْفِقًا عَلَيْهِم، واجْتَهِد فِي بَيَانِ سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ لَهُم إِنْ تَابُوا إِلَيْهِ وَأَحْسَنُوا ،وَابْعَث فِي نُفُوسِهِم الأَمَلَ ،وَلاتُقَنِّطْهُم مِن رَحْمَةِ اللهِ، وَبَيِّن لَهُم شُؤمَ الْمَعْصِيةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَشْعِرْهُم

بِمَدَي حُبِّكَ لَهُم، وَحِرْصِكَ عَلَي نَفْعِهِم، وَخَوْفِكَ عَلَيْهِم ،فَهَذَا أَدْعَي لاسْتِجَابَتِهِم وَالْعَمَلِ بِنَصِيحَتِكَ لَهُم.

❖ الْبَصِيرَةُ السَّادِسَةُ:

••أخْرَجَ الإمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ-كِتَابُ التَّوْبَةِ بِرَقَمِ"2747" عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ."

■فَتَدَبَّرْ يَاطَالِبَ الْعِلْمِ -رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ- هَذِهِ الْبَصِيرَةَ الإيمَانِيَّةَ وَاسْتَبْصِرْ، وَتَأَمَّل رَحْمَةَ رَبِّكَ سُبْحَانَهُ وَفَرَحَهُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُذْنِبِ الْعَاصِي، وَلِمَزِيدِ إيضَاحٍ أُذَكِّرُ نَفْسِي وَإِيَّاكَ بِبَعْضِ فَوَائِدِ هَذِهِ الْبَصِيرَةِ الإيمَانِيَّةِ:

■ **مِنْ فَوَ ائِدِ الْحَدِيثِ:**

•أَوَّلًا: فَرَحُ اللهِ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ: فَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى فَرَحِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ- بِالتَّوْبَةِ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا تَابَ إِلَيْهِ،وَأَنَّهُ يُحِبُّ ذَلِكَ- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- مَحَبَّةً عَظِيمَةً، وَلَكِنْ لا لأَجْلِ حَاجَتِهِ إِلَي أَعْمَالِنَا وَتَوْبَتِنَا؛ فَاللهُ غَنِيٌّ عَنَّا، وَلَكِنْ لِمَحَبَّتِهِ سُبْحَانَهُ لِلْكَرَمِ؛ فَإِنَّهُ يُحِبُّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يَفْرَحُ، وَيَغْضَبُ ، وَيَكْرَهُ وَيُحِبُّ، لَكِنْ هَذِهِ الصِّفَاتُ لَيْسَتْ كَصِفَاتِنَا ؛ لأَنَّ اللهَ يَقُولُ: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ". (الشُّورى:11) بَلْ هُوَ فَرَحٌ يَلِيقُ بِعَظَمَتِهِ وَجَلالِهِ وَلا يُشْبِهُ فَرَحَ الْمَخْلُوقِينَ.

•ثَانِيًا:الإِنْسَانُ لايُؤَاخَذُ عَلَي الْخَطَأْ: وَفِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا أَخْطَأَ فِي قَوْلٍ مِنَ الأَقْوَالِ وَلَوْ كَانَ كُفْرًا سَبَقَ لِسَانُهُ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ لا يُؤَاخَذُ، فَهَذَا الرَّجُلُ قَالَ كَلِمَةَ كُفْرٍ ؛ لأَنَّ قَوْلَهُ لِرَبِّهِ: أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ هَذَا كُفْرٌ لا شَكَّ، لَكِنْ لَمَّا صَدَرَ عَنْ خَطَإٍ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ _ أَخْطَأَ وَلَمْ يَعْرِفْ أَنْ يَتَكَلَّمَ-صَارَ غَيْرَ مُؤَاخَذٍ بِهِ، فَإِذَا أَخْطَأَ الإِنْسَانُ فِي كَلِمَةٍ؛ كَلِمَةِ كُفْرٍ؛ فَإِنَّهُ لا يُؤَاخَذُ بِهَا، وَكَذَلِكَ غَيْرِهَا مِنَ الْكَلِمَاتِ؛ لَوْ سَبَّ أَحَدًا عَلَى

وَجْهِ الْخَطَأِ بِدُونِ قَصْدٍ، أَوْ طَلَّقَ زَوْجَتَهُ عَلَى وَجْهِ الْخَطَأِ بِدُونِ قَصْدٍ، فَكُلُّ هَذَا لا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ شَيءٌ؛ لأَنَّ الإِنْسَانَ لَمْ يَقْصِدْهُ، فَهُوَ كَاللَّغْوِ فِي الْيَمِينِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى:"لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ" (البقرة: من الآية225)

-بِخِلافِ الْمُسْتَهْزِئِ فَإِنَّ الْمُسْتَهْزِئَ يَكْفُرُ إِذَا قَالَ كَلِمَةَ الْكُفْرِ، وَلَوْ كَانَ مُسْتَهْزِئًا؛ لِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ:"وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ". (التَّوْبة: 66/65).

-فَالْمُسْتَهْزِئُ قَصَدَ الْكَلامَ، وَقَصَدَ مَعْنَاهُ؛ لَكِنْ عَلَى سَبِيلِ السُّخْرِيَةِ وَالْهَزَءِ؛ فَلِذَلِكَ كَانَ كَافِراً، بِخِلافِ الإِنْسَانِ الَّذِي لَمْ يَقْصِدْهُ؛ فَإِنَّهُ لا يُعْتَبَرُ قَوْلُهُ شَيْئاً. وَهَذَا مِن رَّحْمَةِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ.-

•ثَالِثًا: مَنْ تَوَكَّلَ عَلَي اللهِ كَفَاهُ: وَفِيهِ: أَنَّ مَنَ رَكَنَ إِلَي اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَأَحْسَنَ التَّوَكُلَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ كَفَاهُ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ كُلِّ

ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: .."وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا". (الطَّلاق:3).

-فَعَلَيْكَ يَاعَبْدَ اللهِ أنْ تَجْعَلَ التَّوَكُّلَ عَلَي اللهِ تَعَالَى مَنْهَجَ حَيَاتِكَ وَدَأْبَكَ فِي شَأْنِكَ كُلِّهِ:

1- إنْ طَلَبْتَ النَّصْرَ وَالْفَرَجَ فَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ:"إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ". (آل عمران: 160).

2- إذَا أعْرَضتَ عَنْ أعْدَائِكَ فَلْيَكُنْ رَفِيقَكَ التَّوَكُّلُ:"فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا". (النِّساء: 81).

3- إذَا أعْرَضَ عَنْكَ الْخَلْقُ، فَتَوَكَّلْ عَلَى رَبِّكَ:"فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ". (التَّوبة: 129).

4- إذَا تُلِيَ الْقُرْآنُ عَلَيْكَ، أَوْ تَلَوْتَهُ فَاسْتَنِدْ عَلَى التَّوَكُّلِ: "وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ".(الأنفال: 2).

5- إِذَا طَلَبْتَ الصُّلْحَ وَالإِصْلاحَ بَيْنَ قَوْمٍ لا تَتَوَسَّلَ إِلَى ذَلِكَ إِلّا بِالتَّوَكُّلِ:"وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ". (الأنفال:61).

6- إِذَا وَصَلَتْ قَوَافِلُ الْقَضَاءِ فَلْتَسْتَقْبِلْهَا بِالتَّوَكُّلِ:"قُلْ لَنْ يُصِيبَنا إِلَّا ما كَتَبَ اللَّهُ لَنا هُوَ مَوْلانا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ". (التَّوْبة: 51).

7- وَإِذَا نَصَبَتْ الأَعْدَاءُ حِبَالاتِ الْمَكْرِ فَادْخُلْ أَنْتَ فِي أَرْضِ التَّوَكُّلِ:"وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقامِي وَتَذْكِيرِي بِآياتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ". (يونس: 71).

8- وَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ مَرْجِعَ الْكُلِّ إِلَى اللّه وَتَقْدِيرَ الْكُلِّ فِيهَا للّه فَوَطِّنْ نَفْسَكَ عَلَى فَرْشِ التَّوَكُّلِ: "فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ". (هود: 123).

9- وَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ اللّه هُوَ الْوَاحِدُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَلا يَكُنِ اتِّكَالُكَ إِلّاَ عَلَيْهِ:"قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتابِ". (الرَّعد: 30).

10- وَإِذَا كَانَتِ الْهِدَايَةُ مِنَ اللهِ، فَاسْتَقْبِلْهَا بِالشُّكْرِ وَالتَّوَكُّلِ:"وَمَا لَنا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلى ما آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ". (إبراهيم: 12).

11- وَإِذَا خَشِيتَ بَأْسَ أعْدَاءِ اللهِ وَالشَّيْطَان وَالغُدَّار فَلاَ تَلْتَجِئ إلّا إلَى بَابِ اللهِ:"إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ". (النَّحل:99).

12- وَإِذَا أَرَدتَ أنْ يَكُونَ اللهِ وَكِيلَكَ فِي كُلِّ حَالٍ، فَتَمَسَّكْ بِالتَّوَكُّلِ فِي كُلِّ حَالٍ:"وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا". (النِّساء: 81).

13- وَإِذَا أَرَدتَ أنْ يَكُونَ الفِرْدَوْسَ الأعْلَى مَنْزِلُكَ فَانْزِلْ فِي مَقَامِ التَّوَكُّلِ:"الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ". (النَّحل: 42).

14- وَإِنْ شِئْتَ أنْ تَنَالَ مَحَبَّةَ اللهِ فَانْزِلْ أوَّلًا فِي مَقَامِ التَّوَكُّلِ:"فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ". (آل عمران: 159).

15- وَإِذَا أَرَدتَ أنْ يَكُونَ اللّه لَكَ، وَتَكُونَ للّه خَالِصًا فَعَلَيْكَ بِالتَّوَكُّلِ: "وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ". (الطَّلاق:3) "فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ". (النَّمل:79). انظر:بَصَائرذوي التَّمييز للفيروز آبادي:"2/313-315."

•رَابِعًا: بَرَكَةُ الاسْتِسْلامِ لأمْرِاللّهِ: وَفِيهِ: بَرَكَةُ الاسْتِسْلامِ لأمْرِاللّهِ بَعْدَ اسْتِنْفَادِ الْوَسَائِلِ الْمَشْرُوعَةِ، لأنَّ الْمَذْكُورَ لَمَّا آيَسَ مِنْ وِجْدَانِ رَاحِلَتِهِ اسْتَسْلَمَ للمَوْتِ، فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْهِ بِرَدِّ ضَالَّتِهِ.

•خَامِسًا: الإيضَاحُ بِضَرْبِ الأمْثَالِ الْمَحْسُوسَةِ: وَفِيهِ: ضَرْبُ الْمَثَلِ بِمَايَصِلُ إِلَي الأفْهَامِ مِنَ الأمُورِ الْمَحْسُوسَةِ، وَالإرْشَادُ إِلَي الْحَضِ عَلَي مُحَاسَبَةِ النَّفْسِ، وَاعْتِبَارُ الْعَلامَاتِ الدَّالَّةِ عَلَي بَقَاءِ نِعْمَةِ الإيمَانِ.

■حَقًّا مَا أحْوَجَ الْعُصَاةَ وَالْمُذْنِبِينَ إِلَي هَذِهِ الرَّحْمَةِ وَالْفَرَحَ بِتَوْبَتِهِم وَعَوْدَتِهِم، فَاسْتَبْصِرْ يَاطَالِبَ الْعِلْمِ وَاعْلَمْ أنَّهُ رُبَّ مَعْصِيَةٍ أَوْرَثَتْ ذُلًّا وَانْكِسَارًا، خَيْرٌ مِنْ طَاعَةٍ أَوْرَثَتْ عِزًّا وَاسْتِكْبَارًا!!

❖ الْبَصِيرَةُ السَّابِعَةُ:

•أخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي مُسْنَدِهِ-بَاقِي مُسْنَدالأنْصَار-حَدِيث الصُّدَيّ بْن عجْلان بن عمروبن وهب الباهِلِيّ بِرَقَم"21708" عَنْ أَبِي أُمَامَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ :"إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ قَالُوا: مَهْ مَهْ فَقَالَ: ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ فَجَلَسَ قَالَ أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ."

■فَاسْتَبْصِرْ يَاطَالِبَ الْعِلْمِ-رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ-وَتَأَمَّلْ مَدَي رِفْقِ النَّبِيِّﷺبِهَذَا الشَّابِّ الَّذِي أَرَادَ رُخْصَةً لارْتِكَابِ الْفَاحِشَةِ، وَعَظِيمِ حِرْصِهِ عَلَي هِدَايَتِهِ ، وَدُعَائِهِ لَهُ بِمَغْفِرَةِ الذَّنْبِ وَالْعِفَّةِ وَطَهَارَةِ الْقَلْبِ، وَلِمَزِيدِ اسْتِبْصَارٍ أُشِيرُ إِلَي بَعْضِ فَوَائِدِ الْحَدِيثِ وَمِنْهَا:

■الْفَائِدَةُ الأولي: رَحَابَةُ صَدْرِ النَّبِيِّﷺ: فَمِنْ كَرِيمِ أَخْلاقِ النَّبِيِّﷺرَحَابَةُ الصَّدْرِ، وَمِنْ جَمِيلِ سَجَايَاهُ الرِّفْقُ وَالرَّحْمَةُ، وَلَقَدْ زَكَّاهُ اللهُ تَعَالَى فَقَالَ:"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ". (الأنبياء:107).وَقَالَ تَعَالَى:"وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ". (القلم:4).

•فَهَذَا الشَّابُّ الَّذِي يُرِيدُ الْمَعْصِيَةَ ذَهَبَ مُبَاشَرَةً إِلَي رَسُولِ اللهِﷺوَأَخْبَرَهُ عَنْ مَكْنُونِ صَدْرِهِ، وَالشَّهْوَةِ الَّتِي اعْتَصَرَتْ قَلْبَهُ، لأَنَّهُ يَعْلَمُ مَدَي رَحَابَةِ صَدْرِ النَّبِيِّﷺوَسَعَةِ حِلْمِهِ، وَعَظِيمِ رِفْقِهِ. وَهَذِهِ بَصِيرَةٌ للعُلَمَاءِ وَالدُّعَاةِ وَطُلابِ الْعِلْمِ وَالآبَاءِ وَالأُمَّهَاتِ وَالْمُرَبِّينَ فِي وُجُوبِ التَّحَلِّي بِالرِّفْقِ وَالْحِلْمِ وَرَحَابَةِ الصَّدْرِ وَتَجَنُّبِ التَّكَلُّفِ وَالْكِبْرِ وَسُوءِ الْخُلُقِ الَّذِي

يُنَفِّرُ النَّاسَ، وَيَضَعُ الْحَوَاجِزَ بَيْنَهُم وَبَيْنَ مَنْ يَسْعَوْنَ لِهِدَايَتِهِمِ وَبَيَانِ الْحَقِّ لَهُم.

■ الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: صِدْقُ إِيمَانِ الشَّابِّ: الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَي صِدْقِ إِيمَانِ الشَّابِّ لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الزِّنَا حَرَامٌ فَمَا تَجَرَّأَ عَلَي فِعْلِ الْحَرَامِ إِنَّمَا أَتَي النَّبِيَّ ﷺ لِيُرَخِّصَ لَهُ فِي الْفِعْلِ حَتَّي لايَقعَ فِي الْحَرَامِ. أَيْضًا أَنَّهُ جَاءَ بَاحِثًا عَنْ عِلاجٍ لِمَرَضِ الشَّهْوَةِ الَّذِي ابْتُلِيَ بِهِ فَفِي قَوْلِهِ "يَارَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا" كَأَنَّهُ يَشْتَكِي إِلَي رَسُولِ اللهِ ﷺ مَاابْتُلِيَ بِهِ مِنْ مَرَضِ الشَّهْوَةِ كَيْ يَجِدَ عِلاجًا لِهَذَا الدَّاءِ قَبْلَ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيْهِ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ.

■ الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: الْقُرْبُ أَوَّلُ وَسَائِلِ الْعِلاجِ: فَفِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ للشَّابِّ: "أَدْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا" إِدْخَالٌ للأَمْنِ وَالاطْمِئْنَانِ عَلَي نَفْسِ الشَّابِّ، فَالْقُرْبُ مِنَ الْعَالِمِ وَالْمُرَبِّي وَالْمُعَالِجِ أَوَّلُ وَسَائِلِ الْعِلاجِ فَاسْتَبْصِرْ يَاطَالِبَ الْعِلْمِ.

■ الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: حِكْمَةُ النَّبِيِّ ﷺ: فَفِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ للشَّابِّ: "قَالَ أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا

النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ"بَيَانٌ لِحِكْمَةِ النَّبِيِّﷺ فِي عِلاجِ هَذَا الشَّابِّ لَقَدْ خَاطَبَ فِيهِ الْعَقْلَ وَالنَّخْوَةَ الَّتِي يَتَمَيَّزُ بِهَا الْعَرَبِيُّ صَاحِبُ الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ ، فَأَرْسَلَ لَهُ عِدَّةَ أَسْئِلَةٍ تَصِلُ إِلَى شِغَافِ الْقَلْبِ، وَتُحَرِّكُ فِيهِ الْغَيْرَةَ،فَكُلُّ مَنْ سَتَزْنِي بِهَا إِمَّا أَنْ تَكُونَ أُمًّا، أَوْ بِنْتًا، أَوْ أُخْتًا، أَوْ عَمَّةً، أَوْ خَالَةً لِرَجُلٍ مِثْلِكَ غَيُورٍ، وَمَا لاتَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ فَلا تَرْضَاهُ لِغَيْرِكَ، وَقَدْ فَزِعَ الشَّابُ الْغَيُورُ لِمُجَرَّدِ عَرْضِ الأَسْئِلَةِ لِبَيَانِ شِدَّةِ هَذَا الْجُرْمِ وَقُبْحِهِ، فَالزِّنَافِيهِ إِفْسَادٌ للفَرْدِ وَالْمُجْتَمعِ وَاخْتِلاطٌ للأنْسَابِ وَتَقْطِيعٌ للأرْحَامِ لِذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى:"وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً". (الإسراء:23).

■الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: شَفَقَةُ النَّبِيِّ ﷺوَحِرْصُهُ عَلَي هِدَايَةِ الشَّابِّ: وَفِي فِعْلِهِ وَدُعَائِهِ ﷺ للشَّابِّ:"فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ"بَيَانٌ لِشَفَقَتِهِﷺوَحِرْصِهِ الشَّدِيدِ عَلَي هِدَايَةِ الشَّابِ، فَقَدْ وَقَعَ الدَّوَاءُ عَلَي مَوَاطِنِ الدَّاءِ فَكَانَ الشِّفَاءُ بِأَمْرِ اللهِ وَأَقْلَعَ الشَّابُ عَنِ الزِّنَا وَذَهَبَ الْمَرَضُ فاسْتَبْصِرْ يَاطَالِبَ الْعِلْمِ.

■فَالْعِفَّةَ الْعِفَّةَ يَاشَبَابَ الإِسْلامِ، والْخَشْيَة الْخَشْيَة، فَمُرَاقَبَةُ اللهِ سَبِيلٌ لِعَوْنِ اللهِ لِعَبْدِهِ وَصَرْفِ السُّوءِ عَنْهُ، فَإِنْ صَرَفَ اللهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ عَنْكَ فَاعْلَم أَنَّكَ مِنْ عِبَادِ اللهِ الَّذِينَ اصْطَفَاهُم لِطَاعَتِهِ فَقَدْ أَخْبَرَاللهُ تَعَالَى عَن نَّبِيِّهِ يُوسُف عليه السلام فَقَال: "وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ". (يوسف:23:24).

•وَالْعِفَّةُ مِنْ أَسْبَابِ تَفْرِيجِ الكُروبِ، فَمِنَ الثَّلاثَةِ الَّذِينَ أُطْبِقَتْ عَلَيْهِم الصَّخْرَةُ فِي الْغَارِ، رَجُلٌ قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فَقَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا".(أخرجه البُخَارِيُّ برقم"2272"ومسلم برقم"2743").

•وَالْعِفَّةُ سَبِيلٌ إِلَى النَّجَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالدُّخُولِ فِي زُمْرَةِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُم اللهُ بِظِلِّهِ يَوْمَ لاظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ فَقَدْ أَخْرَجَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي صَحِيحِهِ -كِتَابُ الزَّكَاة بِرَقَم"1718" عَنْ أَبِي هُرَيْرَة-رضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : الْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ،

وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ."

■وَأَنْتَ يَاطَالِبَ الْعِلْمِ اسْتَبْصِرْ كَيْفِيَّةَ التَّعَامُلِ مَعَ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ وَاحْرِصْ عَلَي بَذْلِ أَسْبَابِ الْهِدَايَةِ لَهُمْ تُفْلِح.

❖ **الْبَصِيرَةُ الثَّامِنَةُ:**"مَاعِزٌ الأَسْلَمِيُّ والاعْتِرَافُ بِالزِّنَا:

••أخْرَجَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ كِتَابُ الْحُدُود برقَم "1695"عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَال:"ِجَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّﷺ فَقَال:ِيَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ: وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ :يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ الرَّابِعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ :فِيمَ أُطَهِّرُكَ فَقَالَ: مِنْ الزِّنَى فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِﷺأَبِهِ جُنُونٌ؟ فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ فَقَالَ :

أَشَرِبَ خَمْرًا؟ فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَزَنَيْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ قَائِلٌ يَقُولُ: لَقَدْ هَلَكَ لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ وَقَائِلٌ يَقُولُ :مَا تَوْبَةٌ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَالَ: اقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ قَالَ: فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ- وَهُمْ جُلُوسٌ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ :"اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ فَقَالُوا :غَفَرَ اللَّهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺلَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُم."

■فَاسْتَبْصِرْ يَاطَالِبَ الْعِلْمِ-رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ-فِي رَحْمَةِ النَّبِيِّ ﷺبِهَذَا الصَّحَابِي الَّذِي غَلَبَهُ هَوَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَ اللهِ وَوَقَعَ فِي الزِّنَا لَكِنَّهُ عَادَ سَرِيعًا نَادِمًا تَائِبًا مُسْتَغْفِرًا طَالِبًا تَطْبِيقَ الْحَدِّ لِيَتَطَهَّرَ مِنَ الذَّنْبِ وَالرَّسُولُ الْكَرِيمُ يَسْتَمِعُ لَهُ وَيُرَاجِعُهُ لِيَتَثَبَّت مِن الأمْرِ لِخُطُورَةِ الْعُقُوبَةِ الْمُتَرَتِبَةِ عَلَي زِنَاالْمُحْصَنِ حَتَّي اضطُرَّ النَّبِيُّ ﷺإِلَي التَّصْرِيحِ بِاسْمِ الْفِعْلِ كَمَافِي رِوَايَةِ الإِمَامِ الْبُخَارِيِّ وَلَيْسَتْ عَادَتُهُ التَّصْرِيح بِهَذَا ولَكِنَّهُ يُكَنِّي

وَذَلِك لِخُطُورَةِ وَشِدَّةِ الْحَدِّ الْمُتَرَتِّبِ عَلَي الفِعْلِ فَيَالَهَا مِنْ رَحْمَةٍ فَمَا أَحْوَجَنَا لِهَذِهِ الْبَصِيرَةِ الإيمَانِيَّةِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ، وَلِكَيْ نَزْدَادَ بَصِيرَةً نَذْكُر بَعْضَ فَوَائِدِ الْقِصَّةِ.

■ **بَعْضُ فَوَائِدِ الْحَدِيثِ:**

1- قَالَ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ:"قَوْلُهُ : (جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي ، فَقَالَ : وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي) إِلَى آخِرِهِ.. هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْحَدَّ يُكَفِّرُ ذَنْبَ الْمَعْصِيَةِ الَّتِي حُدَّ لَهَا ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ صَرِيحًا فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ : "مَنْ فَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَتُهُ "وَلَا نَعْلَمُ فِي هَذَا خِلَافًا.

2- وَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى سُقُوطِ إِثْمِ الْمَعَاصِي الْكَبَائِرِ بِالتَّوْبَةِ ، وَهُوَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا مَا جَاءَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-فِي تَوْبَةِ الْقَاتِلِ خَاصَّةً . وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

3- وَفِي الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ لِأَنَّهُ اسْتَمَرَّ عَلَى طَلَبِ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ مَعَ تَوْبَتِهِ لِيَتِمَّ تَطْهِيرُهُ وَلَمْ يَرْجِعْ عَنْ إِقْرَارِهِ مَعَ أَنَّ الطَّبْعَ الْبَشَرِيَّ يَقْتَضِي أَنَّهُ لَا يَسْتَمِرُّ عَلَى الْإِقْرَارِ بِمَا يَقْتَضِي إِزْهَاقَ نَفْسِهِ فَجَاهَدَ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ وَقَوِيَ عَلَيْهَا وَأَقَرَّ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ إِلَى إِقَامَةِ ذَلِكَ عَلَيْهِ بِالشَّهَادَةِ مَعَ وُضُوحِ الطَّرِيقِ إِلَى سَلَامَتِهِ مِنَ الْقَتْلِ بِالتَّوْبَةِ.

4- وَيُؤْخَذُ مِنْ قَضِيَّتِهِ : أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِمَنْ وَقَعَ فِي مِثْلِ قَضِيَّتِهِ أَنْ يَتُوبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَسْتُرَ نَفْسَهُ وَلَا يَذْكُرُ ذَلِكَ لِأَحَدٍ كَمَا أَشَارَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَلَى مَاعِزٍ.

5- وَمِنْ فَوَائِدِهِ:أَنَّ مَنِ اطَّلَعَ عَلَى ذَلِكَ يَسْتُرُ عَلَيْهِ بِمَا ذَكَرْنَا وَلَا يَفْضَحُهُ وَلَا يَرْفَعُهُ إِلَى الْإِمَامِ كَمَا قَالَ ﷺ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: "لَوْ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ لَكَانَ خَيْرًا لَكَ" وَبِهَذَا جَزَمَ الشَّافِعِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ : أُحِبُّ لِمَنْ أَصَابَ ذَنْبًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتُرَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَيَتُوبَ ، وَاحْتَجَّ بِقِصَّةِ مَاعِزٍ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ.

6- وَفِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ:ضَرُورَةُ التَّثَبُّتُ فِي إِزْهَاقِ نَفْسِ الْمُسْلِمِ وَالْمُبَالَغَةُ فِي صِيَانَتِهِ ، لِمَا وَقَعَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ تَرْدِيدِهِ وَالْإِيمَاءِ إِلَيْهِ بِالرُّجُوعِ وَالْإِشَارَةِ إِلَى قَبُولِ دَعْوَاهُ إِنِ ادَّعَى إِكْرَاهًا أَوْ خَطَأً فِي مَعْنَى الزِّنَا أَوْ مُبَاشَرَةٍ دُونَ الْفَرْجِ مَثَلًا أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

7- وَفِيهِ :مَشْرُوعِيَّةُ الْإِقْرَارِ بِفِعْلِ الْفَاحِشَةِ عِنْدَ الْإِمَامِ وَفِي الْمَسْجِدِ ، وَالتَّصْرِيحُ فِيهِ بِمَا يُسْتَحْيَى مِنَ التَّلَفُّظِ بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الرَّفَثِ فِي الْقَوْلِ مِنْ أَجْلِ الْحَاجَةِ الْمُلْجِئَةِ لِذَلِكَ.

8- وَفِيهِ: نِدَاءُ الْكَبِيرِ بِالصَّوْتِ الْعَالِي وَإِعْرَاضُ الْإِمَامِ عَنْ مَنْ أَقَرَّ بِأَمْرٍ مُحْتَمَلٍ لِإِقَامَةِ الْحَدِّ لِاحْتِمَالِ أَنْ يُفَسِّرَهُ بِمَا لَا يُوجِبُ حَدًّا أَوْ يَرْجِعُ ، وَاسْتِفْسَارُهُ عَنْ شُرُوطِ ذَلِكَ لِيُرَتِّبَ عَلَيْهِ مُقْتَضَاهُ وَأَنَّ إِقْرَارَ الْمَجْنُونِ لَاغٍ ، وَالتَّعْرِيضَ لِلْمُقِرِّ بِأَنْ يَرْجِعَ وَأَنَّهُ إِذَا رَجَعَ قُبِلَ.

9- وَفِيهِ: الاسْتِدْلالُ عَلَى اشْتِرَاطِ تَكْرِيرِ الْإِقْرَارِ بِالزِّنَا أَرْبَعًا لِظَاهِرِ قَوْلِهِ-فِي رِوَايَةِ الإِمَامِ البُخَارِيِّ كتاب الحدود برقم"6430"- : " فَلَمَّا شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ " فَإِنَّ

فِيهِ إِشْعَارًا بِأَنَّ الْعَدَدَ هُوَ الْعِلَّةُ فِي تَأْخِيرِ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ وَإِلَّا لَأَمَرَ بِرَجْمِهِ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ ، وَلِأَنَّ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ : " قَالَ لِمَاعِزٍ قَدْ شَهِدْتَ عَلَى نَفْسِكَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ ، اذْهَبُوا بِهِ فَارْجُمُوهُ "وَالْمَسْأَلَةُ خِلافٌ بَيْنَ الْعُلَمَاء فَمَنْ أَرَادَ الوُقُوفَ عَلَي أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ فَلْيَنْظُرْكَلامَ الْحَافِظِ ابْنِ حَجَر-رَحِمَهُ اللهُ-فِي الْفَتْحِ حَدِيث رقم"6430"كتاب الْحُدُود.

10- وَفِيهِ: ضَرُورَةُ بَذْلِ النَّصِيحَةِ لأَهْلِ الْمَعْصِيةِ فَقَدْ قَامَ أَبُوبَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-بِتَوْجِيهِ مَاعِزبْنِ مَالِك لِضَرُورَة التَّوْبَةِ إِلَي اللهِ وَالسِّتْرِ عَلَي نَفْسِهِ كَمَاجَاءَ فِي بَعْضِ رِوَايَاتِ الْحَدِيثِ.

■ فَتَدَبَّرْ وَاسْتَبْصِرْ يَاطَالِبَ الْعِلْمِ وابْذُل أَسْبَابَ الْهِدَايَةِ وَكُنْ رَحْمَةً وَلا تَكُنْ نِقْمَةً، كَنْ مُيَسِّرًا وَ لا تَكُنْ مُعَسِّرًا، كُنْ مُبَشِّرًا وَ لا تَكُنْ مُنَفِّرًا.

❖ **الْبَصِيرَةُ التَّاسِعَةُ:** الْغَامِدِيَةُ والاعْتِرَافُ بِالزِّنَا:

••أخْرَجَ الإمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ-كِتَابُ الحُدُود-بِرَقَم"1695" فِي حَدِيثِ مَاعِزٍ الأسْلَمِي وتَوْبَتِهِ مِنْ رِوَايَةِ سُلَيْمَان بْنِ بُرَيْدَةِ عَنْ أَبِيهِ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ:"..ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنْ الْأَزْدِ فَقَالَت: يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ وَيْحَكِ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ فَقَالَتْ: أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَّدْتَ مَاعِزَبْنَ مَالِكٍ قَالَ: وَمَا ذَاكِ؟قَالَتْ: إِنَّهَا حُبْلَى مِنْ الزِّنَى فَقَالَ :آنْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ فَقَالَ لَهَا:حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكِ قَالَ فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ:قَدْ وَضَعَتْ الْغَامِدِيَّةُ فَقَالَ: إِذًا لَا نَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ إِلَيَّ رَضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ فَرَجَمَهَا."

■فَاسْتَبْصِرْ يَاطَالِبَ الْعِلْمِ-رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ-فِي أَدَبِ النُّبُوَّةِ كَيْفَ اسْتَمَعَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺوَلَمْ يُعَنِّفْهَا، وَلَمْ يَغْضَبْ عَلَيْهَا، بَلْ أَشْفَقَ عَلَيْهَا، وَلِكَيْ تَزْدَادَ بَصِيرَةً إِلَيْكَ بَعْضُ فَوَائِدِ الْحَدِيثِ.

■ مِنْ فَوَائِدِ الْحَدِيثِ:

-(1)مِنْ فَوَائِدِ الْحَدِيثِ :فَضِيلَةُ السِّتْرِ عَلَي الْمُسْلِمِينَ، فَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا فِي الدُّنْيَا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَ الآخِرَةِ، وَمَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ مُسْلِمٍ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ فَضَحَهُ فِي جَوْفِ دَارِهِ، وَتُسْتَفَادُ هَذِهِ الْفَائِدَةِ مِنْ سِتْرِ رَاوِي الْحَدِيثِ عَلَي الْمَرْأَةِ فَلَمْ يَذْكُرْ اسْمَهَابَلْ قَالَ:"..ثُمَّ جَاءتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنَ الأَزْدِ"، وَكَذَلِكَ مِنْ مُعَامَلَةِ النَّبِيِّ ﷺ حَيْثُ لَمْ يَسْأَلْهَا عَمَّنْ زَنَي بِهَا فَمَا أَجْمَلَ هَذَا الدِّين!!

■ **شُبْهَةٌ وَرَدٌّ:** هُنَا شُبْهَةٌ وَهِيَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَتَتْ هَذِهِ الْمَرَأَةُ وَقَالَتْ:"يَا رَسُولَ اللهِ! أَذْنَبْتُ ذَنْباً فَطَهِّرْنِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَيْحَكِ، ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ"رُبَّ قَائِلٍ يَقُولُ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ أَتَتْ إِلَيْهِ مُذْنِبَةً وَالنَّبِيُّ ﷺ هُوَ الْمَسْئُولُ الأَوَّلُ فِي زَمَنِهِ عَنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ وَمَعَ هَذَا قَالَ لَهَا:"ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ."

•الْجَوَابُ:

-لَيْسَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ عِنْدَ التَّحْقِيقِ شُبْهَةٌ؛ لأَنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ لَمَّا أَتَتْ وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! طَهِّرْنِي، لَمْ تُبَيِّنْ نَوْعَ ذَنْبِهَا وَلَمْ تَقُلْ: إِنِّي زَنَيْتُ، أَوْ إِنِّي سَرَقْتُ أَوْ غَصَبْتُ أَوْ شَيء مِمَّا رَتَّبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ حَدّاً فِي كِتَابِهِ، أَوْ رَتَّبَ عَلَيْهِ نَبِيُّهُ حَدّاً فِي سُنَّتِهِ، وَإِنَّمَا قَالَتْ:"يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْباً فَطَهِّرْنِي"وَالْمَعْلُومُ أَنَّ الطَّهَارَةَ مِنَ الذَّنْبِ تَكُونُ فِي الْكَبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ، فَحَمَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَمْرَهَا عَلَى أَحْسَنِ الْمَحَامِلِ، وَأَنَّهَا مَا وَقَعَتْ فِي كَبِيرَةٍ وَإِنَّمَا وَقَعَتْ فِي صَغِيرَةٍ؛ فَأَرَادَتْ أَنْ تَتَطَهَّرَ مِنْ ذَنْبِهَا حَتَّى وَإِنْ كَانَ صَغِيراً؛ وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: "وَيْحَكِ! ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ"قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ شَيْئاعَنْ ذَنْبِهَا، فَلَمَّا قَالَتْ لَهُ:"يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَاكَ تَرُدُّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزَ بْن مَالِك. فَقَالَ: وَمَا ذَاكَ؟" أَيْ: وَمَا هَذَا الذَّنْبُ الَّذِي تُرِيدِينَ أَنْ تَتَطَهَّرِي مِنْهُ. قَالَ: "قَالَتْ: إِنِّي حُبْلَى مِنَ الزِّنَا" هُنَا أَوَّلُ إِعْلامٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِنَوْعِ الذَّنْبِ.قَالَ: فَقَالَ: "أَأَنْتِ -يَعْنِي: أَأَنْتِ الَّتِي وَقَعْتِ فِي الزِّنَا؟-

قَالَتْ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهَا: حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكِ" أيْ: لا أُقِيمُ عَلَيْكِ الْحَدَّ حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكِ.

■ فَاسْتَبْصِرْ يَاطَالِبَ الْعِلْمِ-رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ-وَتَأَمَّل فِي حُسْنِ ظَنِّ النَّبِيِّ ﷺ بِهَا بَلْ انْظُرْ إِلَى رَحْمَتِهِ وَشَفَقَتِهِ وَعَدْلِهِ فَاسْتَبْصِرْ وَتدَبَّرْ.

2- وَمِنْ فَوَائِدِهِ :قَوْلُهُ :"فَقَالَ لَهَا : حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكِ" فِيهِ أَنَّهُ لَا تُرْجَمُ الْحُبْلَى حَتَّى تَضَعَ ، سَوَاءٌ كَانَ حَمْلُهَا مِنْ زِنًا أَوْ غَيْرِهِ ، وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ لِئَلَّا يُقْتَلَ جَنِينُهَا ، وَكَذَا لَوْ كَانَ حَدُّهَا الْجَلْدَ وَهِيَ حَامِلٌ لَمْ تُجْلَدْ بِالْإِجْمَاعِ حَتَّى تَضَعَ.

3- وَمِنْ فَوَائِدِهِ: أَنَّ الْمَرْأَةَ تُرْجَمُ إِذَا زَنَتْ وَهِيَ مُحْصَنَةٌ كَمَا يُرْجَمُ الرَّجُلُ ، وَهَذَا الْحَدِيثُ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ مُحْصَنَةً; لِأَنَّ الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ وَالْإِجْمَاعَ مُتَطَابِقَانِ عَلَى أَنَّهُ لَا يُرْجَمُ غَيْرُ الْمُحْصَنِ.

4- وَفِيهِ: أَنَّ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهَا قِصَاصٌ وَهِيَ حَامِلٌ لَا يُقْتَصُّ مِنْهَا حَتَّى تَضَعَ ، وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ ، ثُمَّ لَا تُرْجَمُ الْحَامِلُ الزَّانِيَةُ وَلَا

يُقْتَصُّ مِنْهَا بَعْدَ وَضْعِهَا حَتَّى تَسْقِيَ وَلَدَهَا اللَّبَنَ وَيَسْتَغْنِيَ عَنْهَا بِلَبَنِ غَيْرِهَا.

5- وَمِنْ فَوَائِدِهِ :قَوْلُهُ :"فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ"أَيْ: قَامَ بِمُؤْنَتِهَا وَمَصَالِحِهَا، وَهَذَا دَلِيل عَلَي تَوَادِّ الْمُؤمِنِينَ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَحْقِيقِ التَّكَافُلِ الاجْتِمَاعِيِّ وَالتَّعَاوُنِ عَلَي الْبِرِّ وَالتَّقْوَي.

6- وَمِنْ فَوَائِدِهِ: قَوْلُهُ: "لَمَّا وَضَعَتْ قِيلَ : قَدْ وَضَعَتِ الْغَامِدِيَّةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِذًا لَا نَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ : إِلَيَّ رَضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، قَالَ : فَرَجَمَهَا".وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى :"أَنَّهَا لَمَّا وَلَدَتْ جَاءَتْ بِالصَّبِيِّ فِي خِرْقَةٍ قَالَتْ : هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ ، قَالَ : فَاذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ ، فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ فَقَالَتْ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا قَدْ فَطَمْتُهُ وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرَجَمُوهَا".فَهَاتَانِ الرِّوَايَتَانِ ظَاهِرُهُمَا الِاخْتِلَافُ ، فَإِنَّ الثَّانِيَةَ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ رَجْمَهَا كَانَ بَعْدَ فِطَامِهِ وَأَكْلِهِ الْخُبْزَ ، وَالْأُولَى

ظَاهِرُهَا أَنَّهُ رَجَمَهَا عَقِبَ الْوِلَادَةِ، وَيَجِبُ تَأْوِيلُ الْأُولَى وَحَمْلُهَا عَلَى وَفْقِ الثَّانِيَةِ; لِأَنَّهَا قَضِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَالرِّوَايَتَانِ صَحِيحَتَانِ، وَالثَّانِيَةُ مِنْهُمَا صَرِيحَةٌ لَا يُمْكِنُ تَأْوِيلُهَا، وَالْأُولَى لَيْسَتْ صَرِيحَةً فَيَتَعَيَّنُ تَأْوِيلُ الْأُولَى، وَيَكُونُ قَوْلُهُ فِي الرِّوَايَةِ الْأُولَى : "قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: إِلَيَّ رَضَاعُهُ" إِنَّمَا قَالَهُ بَعْدَ الْفِطَامِ، وَأَرَادَ بِالرَّضَاعَةِ كَفَالَتُهُ وَتَرْبِيَتُهُ، وَسَمَّاهُ رَضَاعًا مَجَازًا.

7- وَمِنْ فَوَائِدِ الْحَدِيثِ:أَنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى عِظَمِ التَّرْبِيَةِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا كَانَ يَعْمُرُ قُلُوبَهُم مِنَ الإِيمَانِ، وَأَنَّ طَاعَةَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَالْخَوْفَ مِنْهُ، وَإِصْلاحَ الآخِرَةِ مُقَدَّمٌ عِنْدَهُم عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ مَصَالِحِ الدُّنْيَا؛ إِذْ أَنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ بِهَذَا الصَّنِيعِ لا شَكَّ أَنَّهَا تَخْرِبُ بَيْتَهَا، وَتَفْضَحُ زَوْجَهَا، وَتَفْضَحُ قَوْمَهَا، ثُمَّ حَدُّهَا الرَّجْمُ حَتَّي الْمَوْتِ، وَمَعَ ذَلِكَ جَاءَتْ تَعْتَرِفُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلا شَكَّ أَنَّ هَذَا مِنَ النَّادِرِ، وَلِذَلِكَ وَضَعَ اللهُ ﷻ شُرُوطًا صَعْبَةً لِقَضِيَّةِ الأَعْرَاضِ، فَالزِّنَا لا يُمْكِنُ أَنْ يَثْبُتَ إِلا بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا بِشَهَادَةِ أَرْبَعَةٍ يَشْهَدُونَ شَهَادَةً مُفَصَّلَةً دَقِيقَةً يَصْعُبُ غَايَةَ الصُّعُوبَةِ إِثْبَاتُهَا، أَوْ بِالإِقْرَارِ وَالاعْتِرَافِ،

وَمَنِ الَّذِي يَعْتَرِفُ؟ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ عُقُوبَةٌ مَنِ الَّذِي يَعْتَرِفُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْفَضِيحَةِ وَالرَّزِيَّةِ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ هَذَا الْحَدُّ الرَّمْيُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى الْمَوْتِ؟!

■فَاسْتَبْصِرْ أَيُّهَا الْمُذْنِبُ الْمُقَصِّرُ الْعَاصِي وَبَادِرْ بِالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ قَبْلَ الْفَوْتِ وَقَبْلَ الْمَوْتِ.

■وَاسْتَبْصِرْ يَاطَالِبَ الْعِلْمِ وَأَحْسِنِ الظَّنَّ بِالنَّاسِ وَلاتُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَكُنْ مِفْتَاحَ خَيْرٍ مِغْلاقَ شَرٍّ، وَلا تَكُنْ مِفْتَاحَ شَرٍّ مِغْلاقَ خَيْرٍ.

❖ **الْبَصِيرَةُ الْعَاشِرَةُ:** "لاَ تلْعَنُوهُ فَوَاللهِ مَاعَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ":

••أَخْرَجَ الإِمَامُ الْبُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي صَحِيحِهِ -كِتَابُ الْحُدُودِ- بَاب مَايُكْرَه مِنْ لَعْنِ شَارِبِ الْخَمْرِ وَإِنَّهُ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنَ الْمِلَّةِ بِرَقَم"6398" عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب ﷺ:" أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ

جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ فَقَالَ النَّبِيﷺ -: لَا تَلْعَنُوهُ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ."

■ مُلَخَصُ الْقِصَّةِ:

-هَذِهِ الْقِصَّةُ لِصَحَابِيٍّ اسْمُهُ "عَبْدُ الله"ِوَكَانَ يُلَقَّبُ ب"حِمَارٍ" وَكَانَ يُدَاعِبُ رَسُولَ اللهِﷺوَيُضَاحِكُهُ،وَمِنْ صُوَرِ مُمَازَحَتِهِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ اشْتَرَى طَعَامًا بِثَمَنٍ مُؤَجَّلٍ، فَأَهْدَى هَذَا الطَّعَامَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةٍ جَاءَ صَاحِبُ الطَّعَامِ يَتَقَاضَاهُ، فَأَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بَيْدِ الرَّجُلِ، وَذَهَبَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطِ هَذَا ثَمَنَ مَتَاعِهِ، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ وَجَعَلَ يَقُولُ: "أَلَمْ تُهْدِهِ إِلَيَّ؟!" ثُمَّ أَمَرَ بِإِعْطَاءِ الرَّجُلِ مَالَهُ.

-وَكَانَ هَذَا الصَّحَابِيُّرضي الله عنه قَدِ ابْتُلِيَ بِشُرْبِ الْخَمْرِ، فَأُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ، لَيْسَ مَرَّةً وَاحِدَةً؛ بَلْ مَرَّاتٍ عِدَّةً!

-خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزَاةِ خَيْبَرَ، وَفَتَحَ الْمُسْلِمُونَ حُصُونَهَا، وَكَانَتْ تِلْكَ الْحُصُونُ فِيهَا خُمُورٌ، فَأُرِيقَتْ تِلْكَ

الْخُمُورُ، وَضَعُفَتْ نَفْسُ عَبْدِ اللَّهِ أَمَامَ الْخَمْرِ فَشَرِبَ مِنْهَا، فَحُمِلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَ بِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ.

-قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، وَمِنَّا الضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَمِنَّا الضَّارِبُ بِثَوْبِهِ.

-فَقَالَ رَجُلٌ: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ! مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا تَلْعَنُوهُ! فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ! لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ، وَلَكِنْ قُولُوا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ."

■فَاسْتَبْصِرْ يَاطَالِبَ الْعِلْمِ-رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ-فِي رَوْعَةُ التَّعَامُلِ النَّبَوِيِّ مَعَ الْمُقَصِّرِينَ؛ لَقَدْ كَانَ نَبِيُّنَا ﷺ حَرِيصًا عَلَى غَرْسِ التَّقْوَى فِي قُلُوبِ أَصْحَابِهِ، وَتَعْزِيزِ مَعَانِي الْإِيمَانِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَإِتْبَاعِ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ؛ لِتَمْحُوَهَا.

•بَيْدَ أَنَّ السَّلَامَةَ مِنَ الْأَخْطَاءِ لَمْ وَلَنْ يَسْلَمَ مِنْهَا بَشَرٌ، وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ التَّقْوَى السَّلَامَةُ مِنَ الْمَعَاصِي، بَلْ وَالْكَبَائِرِ، وَجَنَّةُ الرَّحْمَنِ الَّتِي عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وُصِفَ أَهْلُهَا

الْمُسْتَحِقُّونَ لَهَا بِأَنَّهُمْ رُبَّمَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، لَكِنَّهُمْ يَنْدَمُونَ وَيَعُودُونَ وَيَؤُوبُونَ إِذَا ذُكِّرُوا عَظَمَةَ وَمَقَامَ اللَّهِ.

■ ألا فَاسْتَبْصِرْ يَاطَالِبَ النَّجَاةِ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَافَعَ عَنْ عِرْضِ رَجُلٍ وَقَعَ فِي ذَنْبٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ، فَلَيْتَ شِعْرِي! مَتَى يَعِي الْبَعْضُ خَطَأَ فِعْلِهِمْ وَهُمْ يَسْتَطِيلُونَ أَعْرَاضَ أُنَاسٍ أَفَاضِلَ وَعُلَمَاءَ، لَا فِي تَجَاوُزَاتٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهَا، بَلْ فِي مَسَائِلَ هِيَ مَحَلُّ نَظَرٍ وَاجْتِهَادٍ، وَيَسَعُهَا اخْتِلَافُ الرَّأْيِ؟! فَمَا الَّذِي أَبَاحَ اسْتِبَاحَةَ أَعْرَاضِهِمْ فِي مَسَائِلَ غَيْرِ قَطْعِيَّةٍ؟! لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا بُعْدٌ عَنِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ. وَكَمْ نَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَى فَهْمِ السُّنَّةِ وَتَطْبِيقِهَا قَبْلَ أَنْ نُنَادِيَ بِهَا وَنَدْعُوَ إِلَيْهَا!

•وَلِمَزِيدِ اسْتِبْصَارٍ هَيَّا بِنَا نَقِفُ أَمَامَ بَعْضِ فَوَائِدِ الْقِصَّةِ.

■ **مِنْ فَوَائِدِ الْقِصَّةِ:**

1- يُسْتَفَادُ مِنَ الْقِصَّةِ أَنَّهُ:لَمْ يَكُنْ فِي عَصْرِ النُّبُوَّةِ تَشْطِيرٌ لِلْمُجْتَمَعِ، أَوْ عَزْلُ فِئَةِ الْمُقَصِّرِينَ عَنِ الْعُبَّادِ وَالصَّالِحِينَ، بَلْ كَانَ الْجَمِيعُ يَتَعَايَشُ وَيَتَآلَفُ تَحْتَ مَظَلَّةِ الْإِسْلَامِ، عَلَى تَفَاوُتٍ

بَيْنَهُمْ فِي مَقَامَاتِ الْخَيْرِ، فَمِنْهُمُ السَّابِقُ، وَمِنْهُمُ الْمُقْتَصِدُ، وَمِنْهُمْ مَنْ ظَلَمَ نَفْسَه، مَعَ الْقِيَامِ بِوَاجِبِ النُّصْحِ بِضَوَابِطِهِ الشَّرْعِيَّةِ.

2- وَفِيهَا: أَنَّ الْمُقَصِّرِينَ بِحَاجَةٍ لِاحْتِوَائِهِمْ وَالْقُرْبِ مِنْهُمْ، وَتَذْكِيرِهِمْ، وَتَوْجِيهِهِمْ؛ لَا أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْكَبَائِرُ -وَرُبَّمَا الْمُوبِقَاتُ- سَبَبًا فِي إِبْعَادِهِمْ، وَالِابْتِعَادِ عَنْهُمْ، فَالْقُرْبُ مِنَ الْمُقَصِّرِ فِيهِ مُحَاصَرَةٌ لِلْأَخْطَاءِ وَتَقْلِيلُهَا، فَرُبَّمَا رَأَى مِنْ إِقْبَالِ مَنْ حَوْلَهُ عَلَى الْخَيْرِ مَا يُحَرِّكُ جَوَانِبَ الْخَيْرِيَّةِ فِيهِ، وَيَجْعَلُهُ يَنْدَمُ عَلَى أَخْطَاءِ الْمَاضِي، مَعَ مُرَاعَاةِ بَاب الهَجْرالشَّرْعِيّ إِذَااقْتَضَت الْمَصْلَحَةُ الشَّرْعِيَّةُ بَالنِّسْبَةِ للمُجَاهِرِ وَالْمُبْتَدِعِ الَّذِي لايَسْتَجِيبُ للنُّصْحِ وَيَكُونُ ذلِكَ بِاسْتِشَارَةِ الثِّقَاتِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَهْل الإِخْلاصِ وَالْوَرعِ.

3- وَفِيهَا: أَهَمِّيَّةُ تَوْسِيعِ مَسَاحَةِ الْخَيْرِيَّةِ فِي نُفُوسِ الْمُقَصِّرِينَ، فَهَذَا الرَّجُلُ قَدْ ذَاقَ مَرَارَةَ الْجَلْدِ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْأَذَى الْحِسِّيُّ وَالْمَعْنَوِيُّ، وَمَعَ ذَلِكَ يَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ يُشِيدُ بِجَانِبٍ إِيجَابِيٍّ فِيهِ: "فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ."

•مَعَ مُلَاحَظَةِ أَنَّ هَذِهِ مَنْقَبَةٌ مَوْجُودَةٌ فِي كُلِّ مُؤْمِنٍ، فَلَا يَتِمُّ إِيمَانُ الْعَبْدِ إِلَّا بَعْدَ حُبِّهِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهُوَ ﷺ مَدَحَهُ بِشَيْءٍ مَوْجُودٍ عِنْدَ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ، وَلَكِنَّهُ ﷺ أَرَادَ رَفْعَ مَعْنَوِيَّاتِ الرَّجُلِ الْمُقَصِّرِ وَمَدَحَهُ بِهَا؛ لِيَرْتَفِعَ بِإِيمَانِهِ، وَيَسْمُوَ عَنْ مُعَاقَرَةِ الْكَبَائِرِ.

4- وَفِيهَا: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَعْيِيرُ الْآخَرِينَ بِذُنُوبِهِمْ، فَحِينَ لَعَنَ الصَّحَابِيُّ الرَّجُلَ لِكَثْرَةِ شُرْبِهِ، بَادَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِنَهْيِهِ، نَهَاهُ عَنْ لَعْنِهِ، مَعَ أَنَّ ذَاتَ اللَّعْنِ مَنْهِيٌّ عَنْهُ، فَلَمْ يَقُلْ: لَا تَلْعَنْ، بَلْ قَالَ: "لَا تَلْعَنْهُ."

•قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّة-رَحِمَهُ اللهُ- في "مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى ": (6/511) "وَاللَّعْنَةُ تَجُوزُ مُطْلَقًا لَمَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَمَّا لَعْنَةُ الْمُعَيَّنِ فَإِنْ عُلِمَ أَنَّهُ مَاتَ كَافِرًا جَازَتْ لَعْنَتُهُ ، وَأَمَّا الْفَاسِقُ الْمُعَيَّنُ فَلا تَنْبَغِي لَعْنَتُهُ لِنَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يُلْعَنَ "عَبْدُ اللهِ بْنُ حِمَارٍ" الَّذِي كَانَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ لَعَنَ شَارِبَ الْخَمْرِ عُمُومًا ، مَعَ أَنَّ فِي لَعْنَةِ الْمُعَيَّنِ إِذَا كَانَ فَاسِقًا أَوْ دَاعِيًا إِلَى بِدْعَةٍ نِزَاعاً " اهـ " انتهى.

•وَقَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عُثَيْمِين-رَحِمَهُ اللهُ- فِي"الْقَوْلِ الْمُفِيد" (1/226) ":الْفَرْقُ بَيْنَ لَعْنِ الْمُعَيَّنِ وَلَعْنِ أهْلِ الْمَعَاصِي عَلَى سَبِيلِ الْعُمُومِ ؛ فَالأوَّل "لَعْنُ الْمُعَيَّنِ" مَمْنُوعٌ ، وَالثَّانِي "لَعْنُ أهْلِ الْمَعَاصِي عَلَى سَبِيلِ الْعُمُومِ" جَائِزٌ ، فَإذَا رَأَيْتَ مُحْدِثًا ، فَلا تَقُلْ لَعَنَكَ اللهُ ، بَلْ قُلْ : لَعْنَةُ اللهِ عَلَى مَنْ آوَى مُحْدِثًا ، عَلَى سَبِيلِ الْعُمُومِ ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أنَّ النَّبِيَّﷺ لَمَّا صَارَ يَلْعَنُ أُنَاسًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ بِقَوْلِهِ :"اللَّهُمَّ ! الْعَنْ فُلانًا وَفُلانًا وَفُلانًا" نُهِيَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى :" لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِم أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ". (آل عمران:128)رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ" اهـ

5- وَفِيهَا: أَنَّ تَعْيِيرَ الْآخَرِينَ بِالتَّقْصِيرِ وَسَبَّهُمْ بِذُنُوبٍ سَابِقَةٍ هِيَ رِسَالَةٌ مَقِيتَةٌ، يُرْسِلُهَا ذَلِكَ الشَّاتِمُ، عُنْوَانُهَا تَزْكِيَةُ الذَّاتِ، وَمَضْمُونُهَا تَبْرِئَةُ النَّفْسِ مِنْ هَذِهِ الْمَعَاصِي. نَاهِيكُمْ أَنَّ تَعْيِيرَ الْمُخْطِئِ يَزِيدُهُ سُوءًا، وَبُعْدًا، وَبُغْضًا.

-فَلَا يَدْرِي الْعَبْدُ! فَلَرُبَّمَا أَحَاطَتْ بِهِ شَهْوَتُهُ يَوْمًا، وَأَزَّتْهُ نَفْسُهُ الْأَمَّارَةُ نَحْوَ الْحَرَامِ أَزًّا، فَوَقَعَ فِي ذَاتِ الْكَبَائِرِ.

-وَلَا يَدْرِي الْعَبْدُ أَيْضًا أَنَّ ذَلِكَ الْمُقَصِّرَ الْمُخْطِئَ قَدْ يَشْعُرُ بِذَنْبِهِ، فَيُورِثُهُ ذَلِكَ نَدَمًا وَانْكِسَارًا وَإِقْبَالًا، فَتَكُونُ حَالُهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَفْضَلَ مِنْ حَالِ كَثِيرٍ مِنَ الطَّائِعِينَ، فِي رِقَّةِ قَلْبِهِ، وَمُرَاقَبَتِهِ، وَخَوْفِهِ، وَإِقْبَالِهِ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ.

6- وَفِيهَا : أَهَمِّيَّةُ التَّوْجِيهِ غَيْرِ الْمُبَاشِرِ؛ فَلَمْ يُذْكَرْ فِي أَحْدَاثِ الْقِصَّةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَصَحَهُ أَمَامَ الْمَلَأِ، وَإِنَّمَا خَاطَبَ الصَّحَابَةَ، وَأَرْسَلَ لَهُ رَسَائِلَ يَفْهَمُ مِنْهَا الرَّجُلُ خَطَأَهُ؛ لِيَنْدَمَ وَيَرْجِعَ؛ فَقَالَ: "لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ" فَهَذَا الْفِعْلُ مِمَّا يُعِينُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ.

-وَأَيْضًا أَسْمَعَ النَّاسَ صِفَاتِ الْخَيْرِ فِيهِ: "فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ" وَلَكَ أَنْ تَتَصَوَّرَ كَمْ هِيَ مُؤَثِّرَةٌ فِي ذَلِكَ الْمُذْنِبِ، وَهُوَ يَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ يُدَافِعُ عَنْهُ، ثُمَّ يُبَيِّنُ لَهُ خَطَأَهُ بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ مُؤْذِيَةٍ.

-إِنَّ التَّوْجِيهَ الْمُبَاشِرَ، وَالنُّصْحَ أَمَامَ الْمَلَأِ لَا تَحْتَمِلُهُ كَثِيرٌ مِنَ النُّفُوسِ؛ وَلِذَا كَانَ ﷺ يَكْتَفِي بِالتَّعْرِيضِ عَنِ التَّصْرِيحِ، وَكَثِيرًا

مَا كَانَ ﷺ يَسْتَخْدِمُ شِعَارَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ" لِمُرَاعَاةِ نُفُوسِ النَّاسِ.

7- وَفِيهَا: أَنَّ الْهَدْيَ النَّبَوِيَّ جَمَعَ الْحَزْمَ فِي إِيقَاعِ الْعُقُوبَةِ، مَعَ النُّصْحِ وَالتَّوْجِيهِ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْغَضَبِ مِنِ انْتِهَاكِ حُدُودِ اللَّهِ، وَعَدَمِ الرَّأْفَةِ فِي تَطْبِيقِ الْحُدُودِ.

-وَلِذَا بَادَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِقَامَةِ الْحَدِّ مَعَ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ يُبْسِطُهُ وَيُضَاحِكُهُ.

8- وَفِيهَا : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَبْقَى لِلرَّجُلِ مَعَ جُرْمِهِ حَقَّ الْأُخُوَّةِ، فَقَالَ: "لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ" إِذًا، فَكُلُّ مُخْطِئٍ مَهْمَا وَقَعَ فِي الْكَبَائِرِ وَالْمُوبِقَاتِ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ، فَتَبْقَى لَهُ حُقُوقُ الْأُخُوَّةِ، فَتُجَابُ دَعْوَتُهُ، وَيُعَادُ إِنْ مَرِضَ، وَتُتَّبَعُ جِنَازَتُهُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحُقُوقِ.

9- وَفِيهَا: مَسْأَلَةٌ قَرَّرَهَا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهِيَ أَنَّهُ قَدْ يُجْتَمَعُ فِي الْعَبْدِ إِيمَانٌ وَفِسْقٌ، وَسُنَّةٌ وَبِدْعَةٌ، وَإِسْلَامٌ وَشِرْكٌ أَصْغَرُ أَوْ كُفْرٌ أَصْغَرُ، لَا يُخْرِجَانِ مِنَ الْمِلَّةِ، فَيُحَبُّ بِمَا عِنْدَهُ

مِنَ الْإِيمَانِ وَالْخَيْرِ، وَيُبْغَضُ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ أَوِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ الْأَصْغَرِ، أَوِ الْبِدْعَةِ، وَمِمَّنْ بَسَطَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

••وَمِنَ الأَدِلَّةِ عَلَي هَذِهِ المَسْأَلَةِ:

•قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: "وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ". (آل عمران:133:136)

•وَقَوْلُهُ تَعَالَى: "وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ". (الحجرات:9).

•وَمَا أَخْرَجَهُ الإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي الأَدَبِ بِرَقَمِ "5827"عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيَّ حَدَّثَهُ: أَنَّ أَبَا ذَرٍّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- حَدَّثَهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيﷺ- وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: " مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ " قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ» وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: هَذَا عِنْدَ المَوْتِ، أَوْ قَبْلَهُ إِذَا تَابَ وَنَدِمَ، وَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، غُفِرَ لَهُ.

•وَمَاأَخْرَجَهُ الإِمَامُ مُسْلِمٌ -رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ-كِتَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ وَالآدَابِ بَاب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ بِرَقَمِ"2581"عَنْ أَبِي هُرَيْرَة -رَضِيَّ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي

قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ."

10- وَيُؤْخَذُ مِنْها: تَأْكِيدُ أَنَّ نَفْيَ الْإِيمَانِ عَنْ شَارِبِ الْخَمْرِ لَا يُرَادُ بِهِ زَوَالُهُ بِالْكُلِّيَّةِ بَلْ نَفْيُ كَمَالِهِ كَمَا. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ اسْتِمْرَارُ ثُبُوتِ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي قَلْبِ الْعَاصِي مُقَيَّدًا بِمَا إِذَا نَدِمَ عَلَى وُقُوعِ الْمَعْصِيَةِ وَأُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ فَكَفَّرَ عَنْهُ الذَّنْبَ الْمَذْكُورَ ، بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُخْشَى عَلَيْهِ بِتَكْرَارِ الذَّنْبِ أَنْ يُطْبَعَ عَلَى قَلْبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يُسْلَبَ مِنْهُ ذَلِكَ ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ.

11- وَفِيهِا: أَنْ لَا تَنَافِيَ بَيْنَ ارْتِكَابِ النَّهْيِ وَثُبُوتِ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي قَلْبِ الْمُرْتَكِبِ ؛ لِأَنَّهُ ﷺ أَخْبَرَ بِأَنَّ الْمَذْكُورَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مَعَ وُجُودِ مَا صَدَرَ مِنْهُ ، وَأَنَّ مَنْ تَكَرَّرَتْ مِنْهُ الْمَعْصِيَةُ لَا تُنْزَعُ مِنْهُ مَحَبَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

12- وَفِيهِ: الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ كَافِرٌ لِثُبُوتِ النَّهْيِ عَنْ لَعْنِهِ وَالْأَمْرِ بِالدُّعَاءِ لَهُ.

13- مِنْ فَوَائِدِ الْقِصَّةِ:جَوَازُ التَّلْقِيبِ، وَهُوَ مَحْمُولٌ هُنَا عَلَى أَنَّهُ كَانَ لَا يَكْرَهُهُ ، أَوْ أَنَّهُ ذُكِرَ بِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّعْرِيفِ لِكَثْرَةِ مَنْ كَانَ يُسَمَّى بِعَبْدِ اللَّهِ ، أَوْ أَنَّهُ لَمَّا تَكَرَّرَ مِنْهُ الْإِقْدَامُ عَلَى الْفِعْلِ الْمَذْكُورِ نُسِبَ إِلَى الْبَلَادَةِ فَأُطْلِقَ عَلَيْهِ اسْمُ مَنْ يَتَّصِفُ بِهَا لِيَرْتَدِعَ بِذَلِكَ قَالَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي شَرْحِهِ للحَدِيثِ المَذْكُورِ فِي فَتْحِ البَارِي. فَمَا أَعْظَمَهَا مِنْ بَصِيرَةٍ لَوْ تَدَبَّرْنَاهَا!!

❖ **الْبَصِيرَةُ الْحَادِيَةُ عَشَرْ:** يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ:

•أَخْرَجَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ-كِتَابُ اللِّبَاسِ وَالزِّينَةِ بِرَقَمِ"2090" عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺرَأَى خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ

فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ قَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ."

■فَاسْتَبْصِرْ يَاطَالِبَ الْعِلْمِ-رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ-فِي رَحْمَةِ النَّبِيِّ ﷺوَشَفَقَتِهِ بِهَذَا الْعَاصِي الَّذِي ارْتَكَبَ مَحْظُورًا وَهوَ خَاتَم الذَّهَبِ ، وَالذَهَبُ مُحَرَّمٌ عَلَي ذُكُورِ أُمَّتِنَا، فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُد-رَحِمَهُ اللهُ-كِتَابُ الِّلبَاسِ بِرَقَمِ"4057" عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زُرَيْرٍ يَعْنِي الْغَافِقِيَّ أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -يَقُولُ:"إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺأَخَذَ حَرِيرًا فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ وَأَخَذَ ذَهَبًا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي".فَخَافَ عَلَيْهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَنَهَاهُ عَنْ هَذَاالْمُنْكَرِ وَغَيَّرَهُ بِيَدِهِ وَاسْتَخْدَمَ الْحِكَمَةَ فِي هَذَا الْمَوْقِفْ فَاشْتَدَّ عَلَي هَذَا الْمُخَالِفِ لأَنَّ حَالَهُ يَتَطَلَّبُ الشِّدَّةَ، فَالْحِكْمَةُ هِيَ الْعِلْمُ بِمَوَاطِنِ الِّلين وَمَوَاطِنِ الشِّدَّةِ، وَالشِّدَّةُ فِي مَوْطِنِهَا وَبِضَوَابِطِهَا هِيَ عَيْنُ الرَّحِمَةِ.

•وَلِلَّهِ دَرُّ الشَّاعِرِ إِذْ قَالَ:

**فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا* **

فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ.

فَالشِّدَّةُ فِي مَوْطِنِهَا هِيَ عَيْن الرَّحْمَةِ وَهِيَ مِنَ الْحِكْمَةِ فَاسْتَبْصِرْ.

•قَالَ اللهُ تَعَالَى: "يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ". (البقرة:269). وَإِلَيْكَ بَعْضُ فَوَائِدِ الْحَدِيثِ لِتَزْدَادَ بَصِيرَةً.

■ **مِنْ فَوَائِدِ الْحَدِيثِ:**

1- مِنْ فَوَائِدِ الْحَدِيثِ: فِي قَوْلِهِ : "رَأَى خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ" فِيهِ إِزَالَةُ الْمُنْكَرِ بِالْيَدِ لِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهَا.

2- وَمِنْهَا: أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ لِلرَّجُلِ حِينَ نَزَعَ الْخَاتَمَ مِنْ يَدِهِ :" يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ" فِيهِ تَصْرِيحٌ بِأَنَّ النَّهْيَ عَنْ خَاتَمِ الذَّهَبِ لِلتَّحْرِيمِ.

3- وَمِنْهَا : أَنَّ قَوْلَ صَاحِبِ هَذَا الْخَاتَمِ حِينَ قَالُوا لَهُ : "خُذْهُ لَا آخُذُهُ ، وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فِيهِ الْمُبَالَغَةُ فِي امْتِثَالِ أَمْرِ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ ، وَعَدَمِ التَّرَخُّصِ فِيهِ بِالتَّأْوِيلَاتِ الضَّعِيفَةِ . ثُمَّ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ إِنَّمَا تَرَكَ الْخَاتَمَ عَلَى سَبِيلِ الْإِبَاحَةِ لِمَنْ أَرَادَ أَخْذَهُ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ ، وَحِينَئِذٍ يَجُوزُ أَخْذُهُ لِمَنْ شَاءَ ، فَإِذَا أَخَذَهُ جَازَ تَصَرُّفُهُ فِيهِ . وَلَوْ كَانَ صَاحِبُهُ أَخَذَهُ لَمْ يَحْرُمْ عَلَيْهِ الْأَخْذُ وَالتَّصَرُّفُ فِيهِ بِالْبَيْعِ وَغَيْرِهِ ، وَلَكِنْ تَوَرَّعَ عَنْ أَخْذِهِ وَأَرَادَ الصَّدَقَةَ بِهِ عَلَى مَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺلَمْ يَنْهَهُ عَنِ التَّصَرُّفِ فِيهِ بِكُلِّ وَجْهٍ ، وَإِنَّمَا نَهَاهُ عَنْ لُبْسِهِ ، وَبَقِيَ مَا سِوَاهُ مِنْ تَصَرُّفِهِ عَلَى الْإِبَاحَةِ.

•فَمِنْ خَصَائِصِ هَذَا الْجِيلِ الْفَرِيد -جِيلِ الصَّحَابَةِ ﷺأَجْمَعِين- سُرْعَةُ الاسْتِجَابَةِ لأَمْرِ اللهِ تَعَالَى وَلأَمْرِ رَسُولِهِﷺ وَإِلَيْكَ بَعْضُ الْمَوَاقِفِ الْمُضِيئَةِ فِي سُرْعَةِ اسْتِجَابَتِهِمْ وَتَسْلِيمِهِم لأَمْرِ اللهِ تَعَالَى وَلأَمْرِ رَسُولِهِﷺ.

أ- أخرَجَ أبُو دَاوُد-رَحِمَهُ اللهُ-فِي سُنَنِهِ-كِتَابُ الصَّلاة بِرَقَمِ"650"عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ:" بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ إِذْ خَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَنْ يَسَارِهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْقَوْمُ أَلْقَوْا نِعَالَهُمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ

ﷺصَلَاتَهُ، قَالَ: «مَا حَمَلَكُمْ عَلَى إِلْقَاءِ نِعَالِكُمْ»، قَالُوا: رَأَيْنَاكَ أَلْقَيْتَ نَعْلَيْكَ فَأَلْقَيْنَا نِعَالَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ جِبْرِيلَ ﷺ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا قَذَرًا - أَوْ قَالَ: أَذًى - " وَقَالَ: " إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلْيَنْظُرْ: فَإِنْ رَأَى فِي نَعْلَيْهِ قَذَرًا أَوْ أَذًى فَلْيَمْسَحْهُ وَلْيُصَلِّ فِيهِمَا."

ب- وَأَخْرَجَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ-كِتَابُ الأَيْمَانِ بِرَقَمِ"1659"عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ رضي الله عنه:"كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتَ مِنْ الْغَضَبِ قَالَ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي فَقَالَ: اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ قَالَ فَقُلْتُ لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا."

ج- وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُد-رَحِمَهُ اللهُ-فِي سُنَنِهِ-كِتَابُ الِّبَاسِ بِرَقَمِ"4102"عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهَا قَالَتْ:" يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلَ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ

"وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ "شَقَقْنَ أَكْنَفَ قَالَ ابْنُ صَالِحٍ أَكْثَفَ مُرُوطِهِنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا."

د- وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ-كِتَابُ الرِّقَاقِ بِرَقَمِ"6079"عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ ﷺ :" كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرَّةِ الْمَدِينَةِ فَاسْتَقْبَلَنَا أُحُدٌ فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ قُلْتُ :لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ :مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللَّهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ثُمَّ مَشَى فَقَالَ :إِنَّ الْأَكْثَرِينَ هُمْ الْأَقَلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ثُمَّ قَالَ لِي :"مَكَانَكَ لَا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ "ثُمَّ انْطَلَقَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ حَتَّى تَوَارَى فَسَمِعْتُ صَوْتًا قَدْ ارْتَفَعَ فَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَرَضَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَأَرَدْتُ أَنْ آتِيَهُ فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ لِي لَا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ فَلَمْ أَبْرَحْ حَتَّى أَتَانِي قُلْتُ :يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتًا تَخَوَّفْتُ فَذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ :وَهَلْ سَمِعْتَهُ؟قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: ذَاكَ جِبْرِيلُ

أَتَانِي فَقَالَ :مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ :وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ."

هـ- وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ-كِتَابُ الأَطْعِمَةِ بِرَقَمِ"5064"عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ خَيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺلِطَعَامٍ صَنَعَهُ قَالَ أَنَسٌ: "فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَأَيْتُهُ يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالَيْ الْقَصْعَةِ قَالَ: "فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ."

و- وَأَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي الْمُسْنَد"28/33"مِنْ حَدِيثِ عَفَّان بْنِ مُسْلِم عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ ﷺ: "أَنَّ جُلَيْبِيبًا كَانَ امْرَأً يَدْخُلُ عَلَى النِّسَاءِ، يَمُرُّ بِهِنَّ وَيُلَاعِبُهُنَّ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكُمْ جُلَيْبِيبٌ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ دَخَلَ عَلَيْكُمْ لَأَفْعَلَنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ. قَالَ : وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ إِذَا كَانَ لِأَحَدِهِمْ أَيِّمٌ لَمْ يُزَوِّجْهَا حَتَّى يَعْلَمَ هَلْ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهَا حَاجَةٌ أَمْ لَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ : زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ . فَقَالَ: نِعِمَّ وَكَرَامَةٌ يَا رَسُولَ اللهِ وَنُعْمَ عَيْنِي . قَالَ: إِنِّي لَسْتُ أُرِيدُهَا

لِنَفْسِي. قَالَ : فَلِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ : لِجُلَيْبِيبٍ : قَالَ : فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، أُشَاوِرُ أُمَّهَا . فَأَتَى أُمَّهَا فَقَالَ : رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ ابْنَتَكِ. فَقَالَتْ : نِعِمَّ وَنُعْمَةُ عَيْنِي. فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ يَخْطِبُهَا لِنَفْسِهِ إِنَّمَا يَخْطِبُهَا لِجُلَيْبِيبٍ . فَقَالَتْ: أَجُلَيْبِيبٌ إنية؟ أَجُلَيْبِيبٌ إنية؟ أَجُلَيْبِيبٌ إنية؟ لَا . لَعَمْرُ اللهِ لَا نُزَوِّجُهُ . فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ لِيَأْتِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيُخْبِرَهُ بِمَا قَالَتْ أُمُّهَا قَالَتِ الْجَارِيَةُ : مَنْ خَطَبَنِي إِلَيْكُمْ ؟ فَأَخْبَرَتْهَا أُمُّهَا فَقَالَتْ : أَتَرُدُّونَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَمْرَهُ؟ ادْفَعُونِي؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُضَيِّعْنِي . فَانْطَلَقَ أَبُوهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ : شَأْنَكَ بِهَا . فَزَوَّجَهَا جُلَيْبِيبًا قَالَ : فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ لَهُ ، قَالَ: فَلَمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالُوا: نَفْقِدُ فُلَانًا وَنَفْقِدُ فُلَانًا . قَالَ : انْظُرُوا هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالُوا: لَا . قَالَ : لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيبًا . قَالَ : فَاطْلُبُوهُ فِي الْقَتْلَى. قَالَ: فَطَلَبُوهُ فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُ. فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ! هَا هُوَ ذَا إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُ. فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَامَ عَلَيْهِ فَقَالَ : قَتَلَ سَبْعَةً

وَقَتَلُوهُ ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ . مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا . ثُمَّ وَضَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى سَاعِدَيْهِ وَحُفِرَ لَهُ مَا لَهُ سَرِيرٌ إِلَّا سَاعِدَا رَسُولِ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ وَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ ، وَلَمْ يُذْكَرْ أَنَّهُ غَسَّلَهُ. قَالَ ثَابِتٌ : فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيِّمٌ أَنْفَقَ مِنْهَا."

•وَحَدَّثَ إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ثَابِتًا قَالَ: هَلْ تَعْلَمْ مَا دَعَا لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ : "اللهُمَّ صُبَّ عَلَيْهَا الْخَيْرَ صَبًّا وَلَا تَجْعَلْ عَيْشَهَا كَدًّا كَدًّا. قَالَ : فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيِّمٌ أَنْفَقَ مِنْهَا." قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: مَا حَدَّثَ بِهِ فِي الدُّنْيَا أَحَدٌ إِلَّا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، مَا أَحْسَنَهُ مِنْ حَدِيثٍ."!

■**تَنْبِيه:** فِي قَوْلِ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ ﷺ: "كَانَ امْرَأً يَدْخُلُ عَلَى النِّسَاءِ ، وَيَمُرُّ بِهِنَّ ويُلاعِبُهُنَّ"، لَعَلَّ ذَلِكَ وَقَعَ قَبْلَ نُزُولِ آيَةِ الْحِجَابِ.

ز- وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي صَحِيحِهِ-كِتَابُ مَنَاقِبِ الأَنْصَارِ-بِرقَمِ"3587 " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ :" أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ: مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ: أَنَا فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ أَوْ عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ :"وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ."

4- وَمِنْ فَوَائِدِ الْحَدِيثِ: أَنَّ الْعَذَابَ كَمَا يَكُونُ عَامًّا عَلَى جَمِيعِ الْبَدَنِ قَدْ يَكُونُ خَاصًّا بِبَعْضِ أَجْزَائِهِ، وَهُوَ مَا حَصَلَتْ بِهِ الْمُخَالَفَةُ لِقَوْلِهِﷺ:"يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَي جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ."

5- وَمِنْ فَوَائِدِ الْحَدِيثِ : أَنَّ الإِنْسَانَ يَسْتَعْمِلُ الْحِكْمَةَ فِي تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ، فَهَذَا الرَّجُلُ اسْتَعْمَلَ مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺشَيْئاً مِنَ

الشِّدَّةِ، لَكِنَّ الأَعْرَابِيَّ الَّذِي بَالَ فِي الْمَسْجِدِ لَمْ يَسْتَعْمِلْ مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ الشِّدَّةَ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ لأَنَّ هَذَا الَّذِي لَبِسَ خَاتَمَ الذَّهَبِ عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ عَالِماً بِالْحُكْمِ وَالتَّحْرِيمِ وَلَكِنَّهُ مُتَسَاهِلٌ، بِخِلافِ الأَعْرَابِيِّ فَإِنَّهُ كَانَ جَاهِلاً لا يَعْرِفُ، جَاءَ وَوَجَدَ هَذِهِ الْفُسْحَةَ فِي الْمَسْجِدِ فَجَعَلَ يَبُولُ يَحْسَبُ نَفْسَهُ أَنَّهُ فِي الْبَرِّ، وَلَمَّا قَامَ إِلَيْهِ النَّاسُ يَزْجُرُونَهُ نَهَاهُم النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ.

أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الطَّهَارَةِ بِرَقَمِ"462"مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : "بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَهْ مَهْ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ ﷻ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ".

وَكَذَلِكَ اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ الَّلِينَ مَعَ مُعَاوِيَة بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه حِينَ تَكَلَّمَ فِي الصَّلاةِ، أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي صَحِيحِهِ، كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ بِرَقَمِ"877" مِنْ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه ، قَالَ : "بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺإِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ ، فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ : وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ ، فَوَاللَّهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ : إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ ، قَالَ : فَلَا تَأْتِهِمْ قَالَ : وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ ، قَالَ : ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ ، فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ - قَالَ ابْنُ الصَّبَّاحِ : فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ - قَالَ قُلْتُ :

وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ ، قَالَ : كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ ، فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ قَالَ : وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ : ائْتِنِي بِهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا ، فَقَالَ لَهَا : أَيْنَ اللَّهُ ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ ، قَالَ : مَنْ أَنَا ؟ قَالَتْ : أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ : أَعْتِقْهَا ، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ".

وَكَذَلِكَ مَعَ الرَّجُلِ الَّذِي جَامَعَ زَوْجَتَهُ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ فَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَال."

أخرجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ -رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الصِّيَامِ بِرَقَمِ"1947"مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ قَالَ : "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ : هَلَكْتُ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : وَمَا أَهْلَكَكَ ؟ قَالَ : وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ ، قَالَ : هَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَهَلْ تَجِدُ مَا تُطْعِمُ سِتِّينَ مِسْكِينًا

؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : ثُمَّ جَلَسَ ، فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ ، فَقَالَ : تَصَدَّقْ بِهَذَا قَالَ : أَفْقَرَ مِنَّا ؟ فَمَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ ، ثُمَّ قَالَ : اذْهَبْ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ".

■ فَيَالَهَا مِنْ بَصِيرَةٍ لَوْ عَقِلْنَاهَا وَتَدَبَّرْنَاهَا!!

الخاتمة

فِي خَـــــــــاتِمَةِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ أَسْأَلُ اللهَ بِرَحْمَتِهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ يَرْحَمَنِي، وَأَنْ يَعْفُوَ عَنِّي، وَأَنْ يَتَجَاوَزَ عَمَّا وَقَعَ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ مِنْ خَطَأٍ أَوْ غَفْلَةٍ: "رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا". (البـــقرة:286).

وَأَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِزَوْجِي وَوَلَدِي وَلِعُلَمَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ أَجْمَعِينَ وَلَا سِيَّمَا أُولَئِكَ الأَئِمَّة الأَعْلَام الَّذِينَ نَقَلْتُ عَنْهُمْ وَأَفَدْتُ مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ، وَلِمَنْ سَاهَمَ فِي إِعْدَادِهَا وَنَشْرِهَا، وَلِقَارِئِهَا وَالْعَامِلِ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ دَلائِلِ الإِيمَانِ، وَلِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَـــــــــــــاتِ.

وَأَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَهْدِيَنَا وَيَهْدِي بِنَا، وَ أَنْ يُيَسِّرَ الْهُدَى لَنَا، وَيَجْعَلَنَا سَبَبًا لِمَنِ اهْتَدَى ،وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَزِدْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ الْغَافِلُونَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَـــــــــــــــالَمِينَ.

تمت بفضل الله

مَدِيـــــــنَةُ زُولْتِســـــــبَاخ - أَلْمَانْيَا

شَهْرِربيع الأول لِعَام1439 هِجْرِيَّة،

الْمُوَافِق لِـ

لِشَهْرِديسمبرلِعَامِ 2017 مِنَ الْمِيلاد.

كَتَبَهُ:

أَبُو أَحْمَد سَيِّد عَبْد العَاطِي بن مُحَمَّدٍ الذَّهَبِيّ

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِزَوْجِهِ وَوَلَدِهِ وَلِلمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ.

فهرس الموضوعات:

- المقدّمـــــة 2
- البصيرة الأولى 6
- البصيرة الثّانية 13
- البصيرة الثّالثة..... 19
- البصيرة الرّابعة 29
- البصيرة الخامسة 41
- البصيرة السّادسة 58
- البصيرة السّابعة 65
- البصيرة الثّامنة 71
- البصيرة التّاسعة 77
- البصيرة العاشرة 83
- البصيرة الحادية عشر 95
- الخاتمـــــة 109
- فهرس الموضوعات 111

مَنْشُورات أُخرى للمؤلِّفِ: